مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد الثامن ،العدد الرابع ،أكتوبر 2023، ص- ص69.-22

ملامح السلطة والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني من خلال كتابات غربية.

Power and Society profiles in Algeria during the Ottoman era through Western writings.

د. مُحَمَّد أوجرتني (*)
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة الجزائر ، m.oudjertni@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/01/ 21 تاريخ القبول: 2023/06/ 30 تاريخ النشر: 2024/01/ 23

الملخص

إن البحث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني له أهمية بالغة نظرا لارتباطه بتاريخ الجزائر خلال فترة الاحتلال وتكون شخصية الجزائر الحديثة التي حاول المؤرخون الفرنسيون طمسها وتذويبها ضمن فلسفة التاريخ الغربية، والبحث بحاجة إلى مزيد من الجهد نظرا لطول الفترة المدروسة، وبحاجة كذلك إلى إعادة قراءة ما كتبه المؤرخون للخروج من المقاربات التاريخية المتباينة. التي تركها هؤلاء خاصة ما تعلق منها بملامح السلطة والمجتمع ،والاعتماد على الكتابات الغربية يفقد البحث الموضوعية لاختلاف اللغة والدين وحالة الحرب غير المعلنة بين المسلمين في المغرب الأوسط وأوروبا، كما هيأت للأفكار المسبقة الخاطئة، التي تبناها أغلب المؤرخين الغربيين.

وسوف نحاول تسطير مختلف الخطوط التي ترسم الواقع السياسي في إيالة الجزائر وفعاليات المجتمع الجزائري بمختلف مكوناته، من خلال كتابات بعض المؤرخين الغربيين الذين كتبوا في الموضوع ونقف عليها وعلى رؤاهم المتناقضة أحيانا.

الكلمات الدالة: المؤرخون الفرنسيون، إيالة الجزائر، العهد العثماني، اللغة والدين، المجتمع الجزائري

Abstract:

The research on the history of Algeria during the Ottoman era is of great importance due to its association with the history of Algeria during the occupation period and the character of modern Algeria that French historians tried to obliterate and dissolve within the Western philosophy of history, and the research needs more effort due to the length of the studied period, and it also needs to re-read Written by historians out of disparate historical approaches. Which they left, especially those related to the features of power and society.

Relying on Western writings loses the research's objectivity due to the difference in language, religion, and the state of undeclared war between Muslims in the Middle Maghreb and Europe, as it prepared for the erroneous prejudices adopted by most Western historians.

* المؤلف المرسل

We will try to underline the various lines that draw the political reality in the Eyelet of Algeria and the activities of Algerian society with its various components, through the writings of some Western historians who wrote on the subject and we stand on them and their sometimes contradictory visions

Keywords: French historians, the Eyalet of Algeria, the Ottoman era, language and religion, Algerian society.

1.مقدمة:

يكتسي البحث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني أهمية بالغة نظرا لارتباطه بتاريخ الجزائر خلال فترة الاحتلال وتكون شخصية الجزائر الحديثة التي حاول المؤرخون الفرنسيون طمسها وتذويبها ضمن فلسفة التاريخ الغربية، والبحث بحاجة إلى مزيد من الجهد نظرا لطول الفترة المدروسة، وبحاجة كذلك إلى إعادة قراءة ما كتبه المؤرخون للخروج من المقاربات التاريخية المتباينة.

ويظل الاعتماد على الكتابات التي تركها الغربيون، سواء الرحالة و الأسرى أو الدبلوماسيين والهواة، هو السمة البارزة بالرغم من أن كتاباتهم اتسمت بالانطباعية والفجائية ولم يكن في وسعهم تدوين ملاحظاتهم بصورة متأنية ودقيقة، كما كانت مشاهداتهم محدودة جغرافيا، إذ لم يتجاوزوا في أغلب الأحيان الشريط الساحلي أو بعض المدن الكبرى، وبقيت دواخل البلاد نائية عنهم، وَحَالَ بينهم وبينها الكتابة الموضوعية الامتداد الجغرافي الكبير واختلاف اللغة والدين وحالة الحرب غير المعلنة بين المسلمين في المغرب الأوسط وأوروبا.

ورغم ذلك فان الكتابات الغربية لا تزال على ما فيها من شطط تمثل موردا هاما للباحثين في التكوين الاجتماعي والديني والفكري والسياسي للجزائر في الفترة الحديثة، ويدرك المؤرخون الفرنسيون بصورة أخصّ أَنَّ المعلومات التي يملكونها عن الفترة العثمانية تكاد تكون نادرة، ومستمدةٌ جلُّهَا من انطباعات الرحالة الأوروبيين، الذين زاروا الجزائر.

ويرى في هذا الإطار "بيار بوييه **Pierre Boyer** "أن الأخذ بالكتابات الغربية وحدها لا يؤدي سوى لرسم جداول قاتمة حول الوضع في إيالة الجزائر"، لا يُرجى منها العثورُ على

شيء من التسامح وحسن الفهم والتقدير للعادات والتقاليد السائدة. كما ان الحواجز الثقافية بين الأوروبيين والمسلمين قد هيأت للأفكار المسبقة الخاطئة، التي تبناها أغلب المؤرخين الكولونياليين، أمثال "ستيفان قزال" وغيره، ممن كان يرى أن الجزائر جزء من أوروبا اقْتُطِعَ تعسفا من إفريقيا الشمالية في العهد التركي .

ومن خلال هذا البحث الذي هو بعنوان "ملامح السلطة والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني من خلال كتابات غربية" سوف نحاول تسطير مختلف الخطوط التي ترسم الواقع السياسي في إيالة الجزائر وفعاليات المجتمع الجزائري بمختلف مكوناته، من خلال كتابات بعض المؤرخين الغربيين اتخذناهم كنماذج، والذين كتبوا في الموضوع منهم دييغو دو هايدو **De Haëdo** بيار دان **Pierre Dan** ولوجييه دوتاسي **Laugier de Tassy** شاربونو **Cherbonneau** شارل فيرو **Charles feraud** دوغرامون **de Grammont** دوماس **Daumas** دوفولكس **Devoulx** بيرو مارسال **M. Perrot** ترملي **Trumelet** بيليسييه **Pellissier** إيدمون دوتييه **Edmond Doutté** أرنيست مارسييه **Ernest Mercier** أوجان فالي **Eugene Vallet** وغيرهم، بعضهم عاصر الفترة العثمانية وبعضهم الآخر جاء بعد نجاح الحملة الفرنسية 1830.

والإشكالية التي نطرحها في هذا الموضوع هي كيف كانت نظرة هؤلاء المؤرخين إلى السلطة ونظام الحكم التركي في الجزائر وكيف نظروا إلى مشروعية الحكم العثماني وعلاقته بالباب العالي، وكيف كان نمط الحياة الاجتماعية والتدين والثقافة والتعليم، ولماذا كتب المؤرخون الغربيون صورا كالحة ومتشددة فيما يتعلق بالحكم التركي والمجتمع والتعليم والأسرى الأوروبيون في الجزائر؟

والهدف الذي نسعى إليه من خلال هذا المقال هو تقديم قراءة جديدة ومتكاملة عن الواقع المحلي الجزائري السياسي والاجتماعي وإبراز بعض الجوانب التي أغفلها الباحثون الذين درسوا هذا التاريخ، وإبراز بعض الكتابات الموضوعية التي التزمت بالمنهج العلمي واستندت إلى

الحقائق التاريخية دون تحيز، وذلك في إطار منهجية بحثية تقوم على ترجمة الكتابات المستهدفة وتلخيصها وتقديمها لبناء مختلف الفرضيات، ووفق الخطة التالية:

1. لمحة تاريخية
2. المؤرخون الغربيون نماذج مسارات ومناهج
3. السلطة ونظام الحكم التركي في الجزائر من خلال الكتابات الغربية.
   3.1. نظام الحكم.
   3.2. السلطة الفعلية.
   3.3. مشروعية الحكم العثماني وعلاقته بالباب العالي.
4. الحياة الاجتماعية والثقافية.
   4.1. التدين ومستوياته
   4.2. الثقافة والتعليم
   4.3. الأسرى الأوروبيون في الجزائر.
5. تحليل النتائج.

2.لمحة تاريخية

احتدم الصراع بين سكان المغرب واسبانيا خاصة بعد استقرار الأندلسيين المهجرين في سواحل المغرب فانظموا إلى السكان الأصليين في مهاجمة الثغور الاسبانية ونقل مهاجري الأندلس إلى سواحل المغرب الاسلامي الشمالية آمنين، ردا على أعمال الظلم والإرهاب التي مارسها الإسبان ضدهم[1].

وقد كانت مدينة الجزائر تمثل الجبهة المتقدمة للمغرب الأوسط، التي تطل على البحر المتوسط مواجِهة الحملات والأطماع الإسبانية، وكانت تحكم المدينة مشيخة تنحدر من قبيلة الثعالبة[2]، سارعت بعد سقوط بجاية بيد الإسبان سنة 1510 إلى إرسال وفد من الأعيان للأسبان لاسترضائهم بدلا من المقاومة، وسلموا لهم جزر البينون، واتخذ الإسبان من هذا النصر منطلقا للتوسع حيث قاموا ببناء قلعة بحرية على أنقاض مسجد إسلامي كان موجودا بالجزر،

وسميت القلعة بصخرة الجزائر أو البنيون ثم احتلوا مدينة تدليس "دلس" وكل المراسي القريبة منها[3].

واختلف المؤرخون حول مجيء العثمانيين للمنطقة هل كان ذلك من أجل إنقاذ المغرب العربي من التوسع المسيحي الأوروبي، الذي كانت تتزعمه اسبانيا[4]، أم هي أطماع توسعية على عادة الإمبراطوريات القوية آنذاك.؟

وبالنظر للحملات التي تعرضت لها الجزائر منذ سقوط غرناطة حتى وقوع المدينة تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي سنة 1830 يمكننا أن نرجح الرأي القائل بقدوم الأتراك لنجدة سكان المنطقة من ويلات التحرش الاسباني، وحملاته المتكررة على سواحل المنطقة، التي سكتت عن ذكر فظائعها المصادر والكتابات الغربية، أو ساقتها في سياق آخر.

ولا شك أن الوجود العثماني في الجزائر وتونس أنقذاهما مبكرا من الاحتلال الأوروبي خاصة اسبانيا التي تزعمت الكاثوليكية في العالم المسيحي، وكانت عازمة على إخضاع شمال إفريقيا كله لسلطانها، وقد تمكنت من تأسيس قاعدة لها في المنطقة بعد احتلال المرسى الكبير سنة 1505 ووهران سنة 1510 [5].

لقد برز الأتراك في تلك المرحلة كمنقذين لمسلمي الأندلس[6]، ولم يتبادر إلى ذهن الأهالي يوما ما كان يروج له الإسبان والغربيون عموما عن الأتراك والذي تضمنته كتاباتهم التاريخية سواء في تلك الفترة أو بعدها.

وقد كان للعمق الديني والعقائدي والموروث المسيحي المستلهم من تاريخ الحروب الصليبية دورا كبيرا في تأجيج الصراع بين أوروبا وجنوب البحر المتوسط، والذي طبع حركية العلاقات بين الطرفين بالعنف والرغبة في التدمير الشامل للطرفين بعضهما لبعض، ويتجلى ذلك من خلال تتبع حلقات الصراع التي عملت على تأجيج الصدام بين الطرفين، وخير مثال على ذلك يجسد هذا التصور حملة شارلكان على مدينة الجزائر 1541 التي لم تمثل بالنسبة للطرفين سوى صراعا بين الإيمان والكفر[7].

ويكاد يجمع الباحثون والمؤرخون أن الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 لم يكن مشروعا عسكريا أو اقتصاديا عابرا، أو مغامرة معزولة بل كان مشروعا استيطانيا متكاملا، سخّرت من أجل تحقيقه إدارة الاحتلال جميع الوسائل المادية والمعنوية التي من شأنها أن تجسده على أرض الواقع[8].

وكانت سلطات الاحتلال تدرك أن رد فعل الأهالي المتمثل في المقاومة لن يتوقف بمجرد حملة عسكرية ناجحة، أو بحرق وتدمير القرى والأرياف وقطع الأشجار وحرق المزروعات، التي يقتات منها الأهالي، لأن القضية بالنسبة إليهم صارت مسألة كرامة وشرف وتهديد للكيان المحلي بأبعاده الدينية والاجتماعية، وتعلم أن مصادر القوة التي يستند إليها الأهالي في مقاومة الاحتلال الاستيطاني تتمثل في مجموعة القوى المعنوية المركبة والمعقدة، التي شكلت التلاحم بين عناصر الهوية المحلية ببعدها الجغرافي والعرقي بالإضافة إلى بعدها الديني، المتكون من العقائد الإسلامية والرصيد التاريخي الحافل الذي ساهمت به المنطقة على امتداد نحو عشرة قرون من العطاء والتفاعل الحضاري، فشكلت كيانا ثقافيا كبيرا وعميقا، لكن هذا الكيان عجز على إيجاد وبعث منظومة سياسية قوية تحميه وتحافظ عليه[9].

3.المؤرخون الغربيون: نماذج، مسارات ومناهج

لقد كانت الانطلاقة لإعادة كتابة تاريخ المنطقة وتفسيره بما يخدم أهداف الوافد الجديد سنة 1831، حينما باشرت سلطات الاحتلال بتوجيه من القائد برتيزين بالتنقيب عن الآثار في المنازل والحدائق العامة بمدينة الجزائر وضواحيها التي وقعت تحت السيطرة، لقد كان الطريق شاقا وصعبا لكنه لم يكن مستحيلا بالنسبة للنخب السياسية والعسكرية والثقافية والدينية الفرنسية التي وحدت وسائلها وجهودها لخدمة هدفين أساسيين في تلك الفترة الأول دراسة وإعادة قراءة تاريخ الجزائر وفق فلسفة المدرسة الغربية الكولونيالية، والثاني تجسيد أهداف الحملة العسكرية لسنة 1830[10].

وتعد الكتابات التاريخية الأجنبية رغم ما تتسم به من عنصرية وتحقير أحيانا وبعدا عن الموضوعية أحيانا أخرى من الأهمية بمكان، فهي تمكننا من فهم وكتابة تاريخ الجزائر وفق ما

يطرحه الآخر، الذي يقود اليوم قافلة البحث العلمي والكتابة التاريخية ويحدد مساراتها القيمية[11]، كما أنها تمكننا من نقد هذه الكتابات والتعرض لهذه الرؤى والتصورات بالنقد والتحليل، لمضامينها التي لا تخلو من قيم الاستهتار والرغبة في الانتقام مما يفقدها الكثير من الموضوعية.

ويذكر أن أغلب الكتابات التي تناولت التاريخ المحلي لم يكتبها مؤرخون متخصصون فهناك عشرات المئات من المؤلفات كتبها قادة الجيش الفرنسي كمذكرات لهم عن تجربتهم في الجيش الفرنسي العامل بإفريقيا،

وتعددت دوافع البحث في تاريخ الجزائر عند هؤلاء ومن ذلك الرغبة في التعرف على الشعوب الإسلامية ومعرفة عناصر القوة الفكرية والثقافية التي تختزنها، من أجل تكريس السيطرة والاحتلال الذي لا يكون إلا بالسيطرة الفكرية وقراءة تاريخية تفيد مشاريع الاحتلال. كما كان للفضول العلمي الذي غذته النهضة الأوربية التي دفعت الغربيين لغزو الأفاق في سبيل البحث والسيطرة وتكريس غلبة ورقي العنصر الأبيض[12].

ويمكن القول أن الإدارة الاستعمارية قد انطلقت في دراسة مختلف عناصر البيئة المحلية والموروث الثقافي والعادات المكونة للمجتمع الجزائري وتاريخ الحقبة ما قبل الكولونيالية بعدما حددت الأهداف ورسمت الغايات فهيمنت هذه الدراسات والقراءات الموجهة على الطابع العلمي العام والذي سيقدم التصورات الأساسية لكتابة تاريخ المنطقة[13].

وقد شكل صمود قسنطينة وسقوطها سنة 1837 نقطة تحول بارزة وبؤرة اهتمام شامل بالتاريخ المحلي وأيقونة لمدينة ترمز بقوة للموروث الفكري والثقافي المحلي الذي سيقود في حالة فشل الحملة الفرنسية عليها مشروع المقاومة الشاملة بزعامة أحمد باي ومجموعته الإسلامية القسنطينية كما يسميها المؤرخ التونسي عبد الجليل التميمي، وفي هذا الإطار كتب أحد ضباط الحملة يدعى **Barthélemy, A** بارتيليمي أوغيست[14] 1796-1867 "قسنطينة أغاني الحرب مهدى إلى الجيش الفرنسي بإفريقيا"، ويتضمن هذا الكتاب إشادات

بأعمال وانجازات الفرنسيين بعد احتلال الجزائر وقسنطينة ودعوة للتمسك بهذه المكتسبات، ومما جاء فيه:" فرنسا كنتِ ثابتة حينما سالت دماؤُكِ الزكية من كل الشرايين وحينما بلغت الأخبار مدينة باريس تنبئ عن موت 40 ألف فرنسي؟ آه هل انطفأت أمجادك وأصوات الصلوات تملأ البراري؟؟؟...." [15]

وفي الصدد نفسه كتب الجنرال **شارل ريمي كادارت** كتابا بعنوان " ذكريات عن قسنطينة، يوميات ضابط صف الهندسة"، يذكر فيه كل ما رأى وما عايش خلال رحلته من طولون الفرنسية إلى مدينة عنابة ثم قسنطينة ثم تسجيله لمختلف عملية البناء والتعمير لمقاطعة قسنطينة وشق الطرق والقنوات وبناء الجسور لفرض السيطرة الاستعمارية الفرنسية على هذه الجهات[16].

وكتب سالفار فيليكس[17] " أربعة قصائد شعرية حول حملتي قسنطينة، إهداء للدوق دو نيمور le duc de Nemours، أشبعها بروح الوطنية وأمجاد الفرنسيين التي سيسجلها التاريخ بعد سقوط قسنطينة بيد الاحتلال الفرنسي ومما جاء فيها:

فرنسا هزمتِ حشود افريقيا.

على قراهم ترفرف ألوان النصر.

على قمم الأطلس الجنود يحملون الأعلام.

العرب والقبائل الأقوياء والبدو والرحل .

وضعوا مجدهم الخائن وعجرفتهم على الأرض.

معترفين بسيادة الجيش المنتصر على شواطئ البربر.

إلا رجلا اسمه أحمد رفض الخنوع..

وأبى إلا إهانتنا من على قلاع مدينته.

هذا الطاغية المجرم يأبى إلا أن يؤلب علينا العرب.

لكن يقينا سيلقي سيفه... وستدفع الثمن مدينته لجرأتها..

لقد كان سقوط قسنطينة في 1837/10/13 مؤشرا لبداية مرحلة جديدة وحرب شاملة على مكونات الموروث المحلي.

ولا نمر دون الإشارة لجملة من الكتابات المهمة الأخرى منها كتاب أوغيست شاربونو[18] " قسنطينة وتاريخها القديم، وفاليري دوفوازان[19] حملات قسنطينة مرفوقة برؤية عامة حول المستعمرات الفرنسية في إفريقيا، و"احتلال قسنطينة من طرف الفرنسيين 1837" لصاحبه بيشي دي سكورجيانو Bichi, de scorgiano[20] من تقديم بيشي قيامباتيستا، و "تاريخ مدن مقاطعة قسنطينة ووثائق تخدم تاريخ الممتلكات الفرنسية القديمة في افريقيا" لورونت شارل فيرو[21] 1829-1888 و" رؤى حول الجزائر وخاصة مقاطعة قسنطينة، حول أصول المدينة والبايات الذين حكموا من 1710 حتى 1837 لجون بيار بونافور[22] Bonnafont, J-P ولا ننسى الموسوعة التاريخية لمدينة قسنطينة التي ألفها أرنست مارسيي1840-1907 بعنوان تاريخ قسنطينة[23].

وكتب أوجان فالي Eugene Vallet عن المدينة عشية الاحتلال في 13-10-1837 تاريخ سقوط مدينة قسنطينة بيد الفرنسيين[24]. هذا الكاتب الذي يمثل نموذجا للكتاب الفرنسيين المبهورين أمام عظمة قسنطينة "المدينة الشامخة على جبال الأطلس التلي، تمثل كما وصفها رحالة العصر الوسيط عش نسر منصوب على أعالي الجبال، لمناعتها وقوتها". وكتب فالي يتحدث عن النصر الذي حققته فرنسا باحتلال قسنطينة حيث يقول :"ان يوم 13 أكتوبر 1837 يعد تاريخا هاما جدا في تاريخ إفريقيتنا الشمالية notre Afrique du Nord والذي سيسطر أحداثا جوهرية في تاريخ بلدنا، إن قسنطينة بتاريخها ومكانتها ودورها الذي لعبته في الماضي تشكل رمز قوة وعامل توجيه وإدارة لما حولها من الجهات".

لقد كان اهتمام فالي بهذا الموضوع بالغا حيث أفرد له مؤلفا خاصا، تحت عنوان تاريخ مدينة قسنطينة ماضيها ومئويتها 1837-1937، نبش فيه جراحا عميقة في المدينة وتاريخها ومجدها الضائع حيث يقول:" قسنطينة بموقعها المتميز، سماها الرحالة المحليون مدينة الهواء"[25]، ويعرج فالي فيمن عبروا بهذه المدينة وتركوا انطباعات مختلفة حولها فيقول :"فهذا الرحالة العبدري

يقول عنها : مدينة يدافع عنها موقعها الحصين، ويقول في شأنها احمد بن المبارك : بنيت المدينة على جبال تحيط بها الفراغات من كل الجوانب، وهي عبارة عن برنوس يلف المدينة منشور أمام أشعة الشمس، طربوشه العلوي في القصبة وأسفله في باب القنطرة حسب ما تحكي الأسطورة المحلية[26]" وهو ما يوحي بانبهار الكاتب بهذه المدينة المتميزة.

وشكلت الكتابة في تاريخ الإيالة قبل 1830 محور اهتمامات الباحثين الفرنسيين، حيث زخرت الحقبة العثمانية بكتابات متعددة نالت الكثير من الرعاية والتشجيع من طرف سلطات الاحتلال نظرا لما تقدمه من فوائد جمة لعمليات الاستيطان ونقل صورة الإيالة القديمة المشاغبة وهي تنهار تحت براثين الغزاة.

والكتابات التي تناولت تاريخ الجزائر في العهد العثماني كثيرة، ولا نبالغ إن قلنا أنها تعد بالآلاف كتبها الفرنسيون والأوروبيون وشملت مختلف الميادين على شكل رسائل مختصرة أو تقارير قنصلية أو مذكرات شخصية للأسرى والعسكريين، ويمكن الإشارة إلى بعضها على سبيل المثال لا الحصر، فقد كتب **فراي دييغو دو هايدو** fray diego de haëdo عن الأسر في مدينة الجزائر، و"تاريخ ملوك الجزائر" و"وصف الجزائر وتاريخها العام"[27]، وكتب الطبيب الانجليزي طوماس شو كتابه رحلة في إيالة الجزائر[28]، وكتب فيليبو بانانتي مختصر عن إقامة في مدينة الجزائر، relation d'un séjour à Alger ، وأما هنري ديغرامون H.-D. De Grammont فكتب تاريخ الجزائر تحت الهيمنة التركية 1515-1830[29]. فضلا عن كتابات بيسونال وديفونتان، وتحدث ساندار رونق وفرديناند دونيز Sander Rang Et Ferdinand Denis عن تأسيس إيالة الجزائر وتاريخ الاخوة بربروس من خلال مخطوط عربي يذكر فيه حملة شارل كانت على الجزائر[30]، وكتب أوجان بلانتيي عن المراسلات التي كانت بين دايات الجزائر وفرنسا من 1579 إلى 1833 وهي مراسلات مهمة تجسد حقيقة وجود كيان الدولة الجزائرية[31]

وكتب ألفونس روسو Alphonse Rousseau, وقائع إيالة الجزائر[32]، مستغلا مخطوطة بن رقية التلمساني الذي عاصر حدث تاريخي بارز في عهده والمتمثل في حملة القائد

الاسباني أوريبلي سنة 1775 على مدينة الجزائر وفشله في النيل منها[33]. وكتب أونفونتان[34] Enfantin عن احتلال الجزائر سنة 1830 وفي نفس الشأن كتب أم بيرو M. Perrot ، حملة احتلال الجزائر تناول فيها أغلب التفاصيل المتعلقة بالاحتلال[35]، وتخصص بعضهم في الدراسات الدينية فقد كتب ايدمون دوتي[36]، Edmond Doutté ملاحظات حول الإسلام المغاربي المرابطي، وألف الجنرال دوماس[37] Le Général Daumas عدة كتب منها عادات وتقاليد الجزائر، في التل وبلاد القبائل والصحراء، وكتب البير دوفولكس Albert Devoulx كتابه المتميز "المعالم العمرانية الدينية بمدينة الجزائر[38]"، سنة 1870 والذي نهل منه الكثير من الباحثين، وفي 1897 كتب كوبولاني Xavier Coppolani واوكتاف دوبون Octave DeponT كتاب قيما في المجال الديني والطرق الصوفية بعنوان "الجمعيات الدينية الإسلامية في الجزائر"[39]، احتوى على الكثير من المعلومات القيمة حول الطرق الصوفية والزوايا القائمة في المغرب الأوسط.

وخصص الكولونيل دوماس: Colonel M. Daumas كتابا للقبائل الكبرى سماه "القبائل الكبرى دراسات تاريخية"[40] وفي نفس التوجه كتب الكولونيل تريمليت[41]، Le Colonel C. Trumelet، "بليدة قصص وأساطير" سنة1887،

ويعد بيار دان 1580-1649 القس المسيحي الإسباني صاحب كتاب "تاريخ بربارية وقراصنتها"، من أكثر الكتاب الغربيين تطرفا، حيث قدم صورا قاتمة عن السلطة والأتراك والبربر والممارسات التي كانت شائعة، والتي توحي حسب رأيه بانعدام وجود دولة تسير البلاد وتنظم شؤونه، وذات معالم واضحة، فقد تحدث عن السلطة السياسية القائمة سواء في القسطنطينية أو في مختلف إيالاتها، معمما أحكامه بصورة قاسية فضة، فيقول :"يجب التسليم والإيمان أن البشوات وقادة الجيش وهم سادة المنطقة كانوا يختارون أولا من الأسرى الرجال المهمين الذين يبعثون بهم لسيدهم الكبير في القسطنطينية،، ويختارون في نفس الوقت أفضل النساء والصبايا الجميلات، اللواتي يحتجزن في جناح الحريم، ويقوم بحراستهن الجنود، في الوقت

الذي يشبع فيه السلطان نهمه من ممارسة العهر معهن، وفي بعض الأوقات تتحول إحداهن إلى زوجة للسلطان وتجلس على العرش"[42]

ويضيف بيار دان :"ومهما يكن فإنني لم أجد في العالم من يستحق أوصاف البخل والحقارة من الأتراك والبربر، وليس أدل على ذلك أكثر من استمرارهم في ممارسة أعمالهم الحمقاء التي لا شفقة فيها، وتعذيبهم للنصارى الأسرى لد يهم لا حد له، من أجل افتدائهم والحصول على المال"[43].

ويقول واصفا السكان بالبرابرة أن هؤلاء المتوحشون يقودون الأسرى[44] إلى بيوتهم ويوهمونهم أنهم دفعوا فيهم أموالا طائلة وأن عليهم فعل ما يمكن لتحريرهم وافتدائهم، وكانت حماقات هؤلاء البرابرة لا تنتهي، فبعض الأسرى كانوا يثقلونهم بالسلاسل تزيد وزنها عن "100 رطل" ويجبرونهم على السير بها في الطرقات[45].

وقد ضمن مقدمة كتابه إهداء لملك فرنسا دعاه فيه إلى العمل بكل هوادة من أجل اقتلاع جذور الكفار الهراطقة المسلمين من افريقيا. حيث يقول:

إن الشرور كلها تأتي من البربري والقرصان، القسوة والسرقة يمارسونها يوميا، والتسبب في الخراب المشترك للمسيحيين ،المذابح القتل الحرق الخ..

إن المجد يصنع الملوك وإنك ملك فرنسا العظيم الذي تتهدد إمبراطوريته عنجهية الأتراك والبربر بالخراب، هؤلاء الكفار يحسدوننا على هذه السعادة، لن تكون أقل ميلا للمجد من آبائك وأجدادك كلويس السابع..

يا صاحب الجلالة عليك جمع المحاربين الذين لا يقهرون لمرافقة أميرهم في مثل هذه الحرب المقدسة. هذا أقل ما يجب أن نأمله، وهكذا سنقاتل من أجل قضية الله، لن نتوقف عن الدعاء إلى الله من أجل الحفاظ على جلالة الملك. لا شك في المعاملة السيئة التي يتلقاها المسيحيون من هؤلاء الكفار، والتي ستضعون حدا لها.

خادمكم الوفي بيار دان"....

4.السلطة ونظام الحكم التركي في الجزائر من خلال الكتابات الغربية.

1.4نظام الحكم.

وصف المؤرخون الأوروبيون ما وقع من إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية بالمغامرة التي قام بها "حفنة" من المغامرين الأتراك، حين انتصرت على شعوب مسالمة، ونجحت بالعنف في إرساء نظام حكومي قائم في الجزائر وتونس وطرابلس[46].

ويرى الكثير منهم أيضا فيما يتعلق بطبيعة النظام السياسي القائم في الجزائر على أنه نظام ملكي استمد شرعيته من الإبقاء على حالة الجهاد مع النصارى لحماية المسلمين وتحقيق العدالة وتوسيعها[47]، أو أنه جمهورية عسكرية مسيطرة على دواليب السلطة بفضل الجيش الانكشاري[48].

وكان نظام الحكم التركي في الجزائر يمثل أساس الدولة التي نظمت شؤون المنطقة ودفعتها لمقاومة العدوان الأجنبي الأوروبي، ويعود الفضل فيها للإخوة عروج وخير الدين بربروس الذين قاما بتأسيس إيالة الجزائر، وبناء مؤسساتها المختلفة التي ظهرت فيما بعد[49]، وتمثل الانكشارية العمود الفقري فيها[50]، وتسير وفق مؤسسات قارة أقل ما يقال عنها، أنها حققت الاستمرارية لهذا الكيان السياسي على امتداد **320** سنة، ويأتي من ضمنها الديوان الذي يتشكل من الضباط السامين للجيش ومن موظفي الإدارة المركزية والأعيان والعلماء والقادة[51].

ومهما حاولنا الفصل في زاوية الرؤيا لهذه الفترة التاريخية فسنظل حبيسي المقاربات الكلاسيكية، في وقت تعجز فيه الدراسات الحديثة على تقديم صورة جديدة مغايرة للسابق المعهود، بسبب غياب وثائق واضحة وتباين الرؤى في تحليل ودراسة تاريخ المنطقة.

ولا تكاد تتباين رؤى الكتاب الغربيين في هذا الشأن سواء من طبقة الرحالة أو من النخب الدبلوماسية، في اعتبار الحكم التركي طفرة غير طبيعية، حيث يقول الدبلوماسي البلجيكي "لوجييه دوتاسي" Laugier de Tassy ، أنه :"لا توجد لنا أي علاقات بمنطقة بربريا[52] تدلنا عما يحدث في هذا البلد"، وذلك في معرض حديثه عن دوافع تأليف كتابه، الذي كتبه لأسباب خاصة حيث يقول دوتاسي "ولولا بعض أصدقائي الذين طلبوا مني نشره ما اطلع عليه أحد"[53].

ثم يضيف "لقد كانت الحرب التي اشتعلت بين هولندة و إيالة الجزائر قد أخذت شطرا كبيرا من النقاشات عند الناس الذين كانوا يتحدثون عن الجزائريين، ولم يكونوا يعرفونهم جيدا[54] مثلما يعرفون سكان شعوب أخرى بعيدة عنا؟؟[55]".

ويرى الأسير الأمريكي جيمس كاثكارت[56] أثناء وصفه لمدينة الجزائر في مذكراته، أن المنطقة تتوفر على إمكانيات كبيرة لبناء بلد متطور، والتي إن استغلها الأهالي وأحسنوا توظيفها، نجحوا في تحقيق هذا الهدف أيما نجاح، حيث أشار إلى جملة من مسائل التصحيح ودواعي النجاح والمعوقات، التي تقف في طريق تحقيق ذلك، فيقول: "لو أتيح لهذا البلد نظام للحكم كفء يعمل لرخاء شعبه ويشجع الزراعة والفنون والصناعة لأصبح دون شك في ظرف بضع سنوات قطعة من جنة الخلد، ولو وجدت على رأسه حكومة رشيدة لتحول من معقل للقراصنة وقطاع الطرق كما هي الحال الآن إلى أمة تجارية كبيرة ولأصبحت من بين البلدان الصناعية المتقدمة، ولكن الدول الأوروبية الغيورة على مصالحها والتي تتخوف من منافسة الجزائر لن تسمح لهذا الشعب ولبلده بأن يصبح بلدا صناعيا وتجاريا إلا إذا أخضعته لسيطرتها كلية."[57].

ويتخذ الباحث والمؤرخ الفرنسي "أميدي جوبار"[58] طريقا مختلفا في أثناء حديثه عن الحكم التركي في الجزائر مقيما مقارنة بينه وبين الاستعمار الفرنسي، فيقول:"كانت الإدارة التركية حقيقة مقلقة للعرب ووسائلها كانت عنيفة لكنها لا تستحق الأوصاف التي وصفت بها لأنها استطاعت أن تبقى في الجزائر طويلا بثمانية آلاف جندي، بينما نحن – الفرنسيون– لم نستطع بخمسين ألف جندي السيطرة عليها رغم أننا أنفقنا ما يزيد عن خمسين مليون فرنك"[59]، ويضيف "في ثمانية سنوات تسبّبنا في مقتل الجزائريين ثلاثة أضعاف عدد جنود الانكشارية الموجودين في الجزائر، لماذا نقوم بكل هذا السوء أكثر من الأتراك يا ترى؟ لأن هدفنا يختلف عن هدفهم"[60].

لقد كان همّ الأتراك الوحيد – كما يردف هذا الكاتب– هو كيفية حكم البلاد وإدارتها واستثمار مقدراتها وسكانها ولم يكن في نواياهم استعمار البلاد بل كان همهم الوحيد

تحقيق الاستقرار الداخلي، ولم يلغوا الهوية العربية للأهالي، بل تركوا لهم التصرف في قطاعات شاسعة من البلاد. وإذا فرض الأتراك ضريبة على الأهالي فلم يكن هؤلاء يخشون شيئا على ممتلكاتهم من الضياع والسلب[61].

2.4 السلطة الفعلية.

كان موضوع السلطة الفعلية في الإيالة محل نقاش واسع أسال الكثير من الحبر حول هذه الدولة القائمة، هل كانت السلطة التركية تتسم بالواقعية والبراغماتية، حيث سعت من خلالها إلى تحقيق الهدوء والاستقرار استنادا إلى المعطيات الميدانية، في المناطق التي تخضع لسيادتها وخاصة المدن، حيث ربطت علاقات مصلحية مع العلماء والمرابطين، ومنحتهم امتيازات كبيرة مقابل حيادهم في شؤون الحكم والسياسة[62]؟؟، وأما الجهات المخالفة والمعارضة لسياستها فقد اتبعت معها أسلوب المتابعة والمراقبة والضغوط والتكاليف؟؟. وبفضل هذا وبحسن التعامل مع المرابطين مكنهم ذلك من بناء نظام قوي والبقاء ثلاث قرون. بعدما أحاطوهم بهالة من الاحترام والتقديس فنالوا بذلك مباركتهم وتأييد الأهالي؟؟[63]

وممن تحدث في الموضوع الكاتب والمؤرخ "بيار بوايي" حيث كان يرى أن الأتراك كانوا يدركون أن المرابطين كان لهم تأثير كبير على السكان مما حدا بهم إلى تجاوز كبائرهم وانحرافاتهم، حتى وان مست بالنظام العام أو بالشرع الحنيف، شريطة ألا يتهجموا مباشرة على السلطة القائمة. وكانوا يستفيدون من غنائم البحر والقرصنة، ففي سنة 1702 كما تقول إحدى الوثائق استفاد نحو 36 مرابط من مدينة الجزائر من أعطيات كبيرة من القرصنة[64].

ونظرا لدقة المرحلة وقوة المشارب والولاءات الدينية، فقد صار الوضع يتطلب من الحكام الأتراك البروز بمظهر يليق برئاسة الدولة التي يعيش في ظلها المسلمون حتى وإن خالف ذلك ميول الكثير منهم، ويؤكد فيليبو باناني Pananti أن "الطبقة الحاكمة كانت مجبرة على القيام بكل المراسيم الدينية لتتجنب أن تكون مثلا سيئا"[65]، سواء بالنسبة للطامعين في السلطة أو الأهالي الذين يحبون السلطة المتديّنة.

كما تطلب منهم الوضع كذلك التقرب من المرابطين، حتى في المناطق البعيدة والصعبة، كمنطقة القبائل حيث إمارتا كوكو وبني عباس، التين استوطنت بهما العديد من العائلات المرابطية، فعمد الأتراك إلى التقرب من عناصرها المؤثرة بالهدايا والحبوس والإعفاء الضريبي[66].

وتعددت مظاهر التقارب بين الطرفين لتتحقق الثقة بينهما، حفاظا على المصالح المشتركة القائمة بينهما كما يذكر بعض المؤرخين، كتقديم النذور و"الوَعْدات" للأولياء والمرابطين[67]، أو الاستعانة بهم في ضبط أحوال منطقة معينة يسيطرون عليها[68]، وكانت السلطة السياسية تتخير الجهات والمقابر التي يرقد فيها الأولياء والمرابطين للدفن فيها، تبركا بها[69].

ويؤكد "لويس رين" Louis Rinn أن الأهالي لم يعترفوا يوما بالداي وبسلطته إلا في حالات معينة ووفق شروط مسبقة، وهو ما يدعو للتخمين أن معاهدة 05 جويلية 1830 لم تكن تعنيهم في شيء، وفي ذلك تفسير لطبيعة المقاومة التي قادها الأهالي ضد الفرنسيين بعد ذلك[70].

ويرى دوغرامون de Grammont أن السلطة الفعلية كانت بيد الديوان[71]، وتركت للداي القضايا الشكلية، سواء تعلق الأمر بالعيش في القصر وكثرة الحراس الذين يؤمنون وظيفته، أو المعاملة اللائقة التي يلقاها في الاحتفالات والمراسيم، والتشريف الذي يتمثل في ذكر اسمه في المراسلات التي تبدأ بـ: " نحن باشا وديوان جيش – ميليشيا- الجزائر الذي لا يقهر". "فكل ذلك كان وهما" لأن الحقيقة كما يقول دو غرامون هي "أن الباشا لم يكن سوى موقعا على قرارات الديوان التي لا يستطيع الاعتراض عليها"[72].

لقد راع هذا الموضوع اهتمام أغلب الدارسين والهواة للفترة العثمانية، دون الوصول إلى صيغة تصوُّرية شاملة له، وفي هذا الصدد يرى لوجييه دوتاسي de Tassy أن الداي هو الحاكم المطلق يحكم كل الإيالة وفق هواه، ينفذ فيها سلطانه ويعاقب من يشاء، ويتحكم في المناصب ويتصرف فيها كما يشاء. لكن المنافسين كُثُر والثورات والانتفاضات متكررة تتطلب من الداي القوة والحزم والشدة أحيانا، وأحيانا أخرى تتطلب الطيبة واللين. وكان اختيار الداي

وفق تنظيم الإيالة يساهم فيه كل رجال الجيش الذين يجتمعون في قصر الداي المتوفي أو الهارب[73].

ويذكر "دو تاسي" de Tassy أن الشخص المؤهل للقيام بوظيفة الداي يجب أن لا يكون مطعونا فيه وان تكون سيرته حسنة ليكون في مستوى المهمة الملقاة على عاتقه ويستقبل الأزمات والملمات بكل رباطة جأش وعزيمة[74]، لكن كتابا غربيين آخرين يعتقدون أن النظام السياسي في الجزائر خاصة السلطة التنفيذية وهرمها المتمثل في الداي مفتوح للأقوى من الإنكشاريين والأكثر شعبية[75] .

وقد تحدث دوتاسي عن انتخاب الداي في المراحل الأخيرة من الوجود العثماني في الجزائر حيث يقول أنه في حالة شغور منصب الداي تجتمع قيادة الجيش الانكشاري والديوان في منزل الداي المتوفى، ثم ينادي الأغا بأعلى صوته في القيادة العسكرية طالبا منها من تريد انتخابه لهذا المنصب[76]، فيقع تسمية واحد أو أكثر، وتتكرر المناداة باسم الشخص المرغوب فيه، ولما يحصل أحدهم على التزكية يتم تلبيسه القفطان وإجلاسه على كرسي العرش داعين الله له بالتوفيق والسداد. ثم يقوم القاضي أو المفتي بقراءة بعض واجباته منها أن الله اختاره لقيادة البلد والجهاد، معاقبة السيئين والشريرين ومكافئة الصالحين وأن يبذل قصارى جهده في تحقيق السعادة والاستقرار للبلد والجد في تحصيل الضرائب وتحديد سعر الغلات والبضائع لفائدة الفقراء والمساكين[77].

وقد بالغ الكاتب الاسباني "جوب كانو" بقسوة في وصف حكام الإيالة حين كتب :" كان الداي غنيا لكنه لم يكن يتصرف في ثروته ولم يكن سيدا عليها وأب بدون زوجة ولا أطفال طاغية بدون حرية وسيدا لا يملك لأنه مستعبد من طرف أتباعه"[78].

3.4 مشروعية الحكم العثماني وعلاقته بالباب العالي:

يثير "دوغرامون" انشغالا آخر يمس مشروعية السلطة التركية في الجزائر في الصميم، حين يقول أنها كانت تشعر بنوع من النقص في شرعية حكمها، وهو ما يفسر ردة الفعل القوية تجاه من ينبش في ماضيها أو من يعرّض بها، خاصة إذا تعلق الأمر بالمشاغبين من الجيران

من المغاربة والتونسيين، الذين كانوا يعيرونها بنسبها المجهول ورصيدها الديني والشريفي الضعيف، أضف إلى ذلك فقد كان الجيران يصفون الجزائريين بقلة الفطنة والغباء كما يقول دوتاسي، لأنهم رضوا بحكم الأتراك[79].

هل عجز النظام التركي في الجزائر على ربط علاقات طيبة مع دول الجوار والاعتماد على الدبلوماسية لحل المشاكل معها دون اللجوء للقوة؟ ولماذا لم يحسم الأتراك خاصة في مرحلة القوة والانتشار خلال القرن السادس عشر أمرهم عسكريا مع المغاربة وقد كانوا قادرين على ذلك، خاصة في فترة حكم صالح رايس الذي كان في مقدوره بسط نفوذه على المغرب زمن الصراع بين العلويين والوطاسيين، فقد كان يملك الجيش التركي من قوة السلاح ما يؤهله لذلك، خاصة البنادق النارية التي لم تكن مستعملة من طرف خصومه حين هزمهم سنة 1554م؟؟[80].

وإن مما يثير الدهشة والغرابة أن الجزائر لم تفكر يوما في الانفصال عن الدولة العثمانية وبقيت علاقات الأخوة والتعاون في السراء والضراء قائمة بين الطرفين، رغم استقلال الدايات بالحكم منذ 1710، فقد ظلت السلطة المحلية ترفع كل سنة الهدية الرمزية لاسطنبول اعترافا رمزيا بأحقية السلطان العثماني[81] في تولي أمور المسلمين وكان الدايات يحتفلون كل حين بالمناسبات السعيدة التي تمر بها السلطنة كاعتلاء السلاطين الجدد سدة الحكم أو ميلاد أبنائهم، وقد ساق "دوفولكس" كثيرا من الأمثلة التي عبر فيها الدايات عن سعادتهم بالأحداث المفرحة التي تحدث في العاصمة القسطنطينية فيعمدون إلى زيادة أجور الانكشارية والموظفين، ومنح علاوات لهم تعبيرا عن شكرهم لله وامتنانهم للدولة العلية[82].

وكثيرا ما يعتبر البعض حكم الدايات الذي بدأ منذ 1671 بداية استقلال إيالة الجزائر عن الخلافة العثمانية وتفردها بتسيير شؤونها الداخلية والخارجية، برسم الاتفاقات والمعاهدات مع الدول الأجنبية، وحرية إعلان الحرب وعقد السلم معها، لكن ذلك الاستقلال كان استقلالا جغرافيا، وبقي هرم السلطة متصلا بالسلطنة، وكان لزاما على باشا الإيالة

الجديد أن يحصل على فرمان التولية من الخليفة أو يكون سيف الجلاد بانتظاره خارج قصر الحكم[83].

ويرى المؤرخ "فاضل بيات" أن التحول إلى نظام الدايات لم يكن انقلابيا كم يصوره البعض خاصة الأوربيين، وإنما جاء بالتدريج فكلما حدث نقص أو خلل في جانب معين عوضه الديوان دون أن يلقى معارضة من السلطان، ومنذ ذلك التاريخ تحول النضال والجهاد الإسلامي ضد المسيحيين من جهاد مقدس إلى حرب غنائم، سعت كل الأطراف إلى اغتنامه[84].

3.الحياة الاجتماعية والثقافية.

1.3التدين ومستوياته

يتساءل الكثير من الباحثين عن واقع التدين في المجتمع الجزائري في هذه الفترة هل كان وراثيا، اكتسبه الناس بالتقليد وتوارثوه جيلا بعد جيل دون فهم واستيعاب لمفرداته ومحتواه؟ أم هو نتاج فهم وبحث وعمل قام به العلماء والفقهاء؟

إن تحديد مستوى التدين لأي مجتمع هو في الحقيقة محاولة لقراءة جديدة لمعطيات قديمة كما يقول الأستاذ الباحث في تاريخ الدولة العثمانية مُحَمَّد حرب85، وأول ما يجب علينا أخذه بعين الاعتبار هو تلك الفروق الجوهرية بين فئات المجتمع الجزائري، من حيث التأثر بمختلف العلوم والثقافات، والعادات والتقاليد المتحكم فيها، فقد كانت المدن الجزائرية عكس الأرياف مسرحا لعدة تيارات وافدة سواء من أوروبا والمشرق الإسلامي والأندلس[86]، في وقت كان الريف يعيش في عزلة تامة عنها.

لقد كانت الظواهر الاجتماعية السلبية كشرب الخمر وممارسة البغي والفساد الاجتماعي والديني، منتشرة بصورة كبيرة في المدن، نجم عنها مشاكل وأزمات أسرية واجتماعية عديدة. بسبب انفتاح المدينة على الثقافات الجديدة الوافدة، والتي تجد من يعمل على نشرها.

ومن ابرز معالم الانحراف وجود الأسيرات المسيحيات كعنصر جديد في المجتمع الجزائري ساهم في انتشار ثقافة تعدد الزوجات والاستمتاع بهن بصورة أو بأخرى، خاصة بين

فئات القادة ورجال الدين وحذا بالكثير منهم إلى إخفاء زواجه الثاني[87] خوفا من المجتمع أو من زوجته الأولى وأهلها.

لقد ساهم ركود العلم والاجتهاد في المدن الأساسية كتلمسان ومازونة وتنس وجزائر بني مزغنة وبجاية وقسنطينة وبونة في تراجع التدين وصار الدين لا يؤثر في الناس، وهذا ما أثاره الرحالة الغربيون والمحليون في كتاباتهم. وقد يعود السبب في غالب الأحيان إلى غياب سلطة سياسية وفقهية قوية تحرص على وحدة المجتمع وانسجامه مع معطيات عصره.

وكانت الأرياف تعيش في ظل تخلف وركود قاتل منذ القرن16 بسبب انعدام الأمن وتفشي الأمراض والأوبئة[88] التي كانت تنخر جسم المجتمع، جاء أغلبها من الأقطار المجاورة، نتيجة لسهولة انتقالها وانفتاح البلاد على تلك الأقاليم.

في ظل هذه الأوضاع اختلف الدارسون في تحديد مستوى التدين عند الجزائريين في الجزائر، فقال بعضهم بوجود مستوى مقبول من التدين وسموا لأخلاق وحسن التعامل بين أفراد المجتمع، كالرحالة الأسير الاسباني "دييغو دو هايدو" Diego de Haido الذي نوه بالخصال الحميدة التي اتسم بها الجزائري في هذه الفترة، منها الصبر والمثابرة خاصة في الأزمات والشدائد والحروب، وتحمل الألم والجوع لأيام طويلة، وذكر أن الجزائريين كانوا حين المصائب والملمات لا يكفرون بالله – لا يتفوهون بكلمات الفحش- بل لا توجد في قاموس لغتهم، سواء بالنسبة للعربي أو التركي أي عبارات كفر ومعصية لله[89]، وهذا يدل على قوة إيمانهم بالغيب وبعنصر الجزاء والحساب الأخروي.

ويردف بالقول :" وكان السكان لا يلعبون النرد ولا الأوراق ويعتبرون ذلك جرم كبير، ولا يلعبون في هذا المضمار إلا بالضامة والشطرنج لتسلية الوقت. كما أنهم لا يتقاتلون ولا يتبارون بالسكاكين فيما بينهم90"، "وإذا حصل بينهم ذلك فإن إمكانية الصلح بينهم قائمة جدا، وسرعان ما تتحول اللكمات والصراعات إلى قبلات حارة. كما كانوا شديدي الطاعة والتسليم لحكامهم وقضاتهم"[91].

وخلاصة القول بالنسبة إلى هايدو تكمن في إعجابه لما كان عليه المجتمع الجزائري، عبر عنه بقوله:" وكان الحرص على العيش كمسلم كامل الإيمان والاستقامة، يؤدي واجباته كما ينبغي، شعورا كائنا ومعاشا في هذه الفترة"[92].

ويتحدث الكاتب الفرنسي الجنرال دوماس[93] عن وجود عن وجود أخلاق عالية اتسم بها المجتمع الجزائري، بالرغم من أن الكاتب ينتمي لفترة ما بعد الاحتلال الفرنسي، حيث يقول:" إن كلمة السلام عليكم التي أخذناها من العرب تكفي للدلالة على مدى تمسك المسلمين بمعاني التحضر، هذه الكلمة بسيطة الثمن لكنها تجلب الكثير من الخير".

ثم يحلل شخصية العربي – الذي لا يزال حديث عهد بالفترة العثمانية– بقوله:" العربي يحرص على إحاطة من حوله بعبارات دافئة تهيئ أجواء الترحيب بالشخص. كما لا يوجد مثل العربي من يدرك أسرار التخاطب مع الناس وفق مراتبهم وانتماءاتهم، وكل شيء عند العربي مضبوط بدقة ومعلوم ومتوارث، يحرص الآباء على تعليمه ونقله للأبناء. ومنها التحية بين أي شخصين يلتقيان[94]".

ولاحظ دوماس حرص الناس على تجسيد التناغم والاندماج بينهم، دون تفريق بين عنصر وآخر، وقلما يحدث هذا التناغم إذا عاش كل فرد منعزلا عن المجموعة قابعا على ذاته. وكان من أكثر وسائل تحقيق هذا التناغم فعالية: إلقاء التحية بين الناس[95]، حيث ينقل دوماس أن إلقاء التحية كان لا يستثني حتى الناس الأجانب، ولو كانوا كافرين ومن ديانات أخرى، حتى لا يتأذى هؤلاء[96]، كما أن الفرد لا يمر أبدا على مجموعة من أقرانه دون أن يلقي عليهم تحية الإسلام بصوت مرتفع وقوي، وفي فصل الصيف يمكن للعربي البسيط أن يحيي قائده والقبعة على رأسه[97].

إن ارتصاص البنيان الاجتماعي خاصة على مستوى الأسرة والتزام العادات والتقاليد الصارمة وخصوصيات الأسر الجزائرية وأسرارها، كانت من أكثر ما شد انتباه دوماس، حيث يقول:" وكانت الأخلاق العربية تلزم عدم الخوض في الأعراض، خاصة أعراض النساء فلا يجوز حتى ذكر أسمائهن[98]، والذي يعد في عرف العرب جرما لا يضاهى"[99].

وتحدث دارسون آخرون عن مختلف مظاهر العبادات التي كان يقوم بها الجزائريون والاحتفالات الدينية المختلفة من صلاة في المساجد وصوم وحج وتآزر بين فئات المجتمع وبينوا انبهارهم بها وتأثرهم بوحدة العقيدة لدى الجزائريين، خلافا لبعضهم الذين أشاروا إلى ضعف التدين عندهم، وفساد مزاجهم وسوء أخلاقهم، وأيدهم في هذا كتاب محليون كالرحالة الورتلاني الذي قال أن المجتمع الجزائري يتسم بضعف التدين وترك السنن والشعائر الإسلامية،:" وكثير من السنن والشعائر الإسلامية تركت ونبذت في وطننا بل بدلت بالضد والعياذ بالله"[100]، مؤكدا وجود عادات سيئة ناتجة عن ضعف التدين منها انتشار البغاء وشرب الخمر وقطع الطريق والحروب بين القبائل وانتشار ظاهرة السرقة والسطو داخل المدن وفي الأرياف، وكذلك الرحالة ابن حمادوش[101].

وفي الجانب العقدي كان المجتمع الجزائري كثير التأثر بالقضايا الغيبية، التي ينسجها المرابطون والمشعوذون وكان المجتمع شديد الترقب للشائعات التي تتحدث عن الخوارق ، خاصة إذا كان مصدرها الأولياء "الصالحين" وأصحاب الزوايا "المرابطين"، للثقة المفرطة في هذه الدوائر. وانحسار الدعاة وقلة العلماء والفقهاء، وسيطرة التصوف الطرقي.

وما يلفت انتباه الدارسين والباحثين في أغلب الكتابات الغربية استعمال أصحابها لمفردات خاطئة عند الحديث عن النبي مُحَمَّد ﷺ أو الدين الإسلامي، فقد شاع عندهم عبارة "الدين المحمدي" La Religion Mahometane " كما استعملت عبارة "ماحوميتان" بالأجنبية للإشارة إليه، وقد أوردها الكثير من الباحثين، كما وردت أيضا للحديث عن الإسلام، وهو اسلوب بهدف إلى محاولة شخصنة الدين الإسلامي في شخص النبي (ص) للتقليل من أثره، وربطه به دون الوحي الإلهي[102].

2.3 الثقافة والتعليم

عاش المجتمع الجزائري في العهد العثماني في حالة ركود ثقافي وفكري واجتماعي، حيث انحصر التفكير وتراجع الإبداع وقل العطاء العلمي وصار التقليد شعار السالكين لطريق

العلم والفقه، وصار أسلوب التلقي الوحيد عن طريق الأقطاب الصوفية والطرقية، بدلا عن العلماء والفقهاء والمجتهدين[103].

وقد صور أحد فقهاء هذه الفترة[104] ما آل إليه أمر الاجتهاد في الدين وطلب العلوم في بيتين من الشعر فقال :

خبرا عني المريد بأني كافر بالذي قضته العقول

ما قضته العقول ليس من الدين بل الدين ما حوته النقول.

وراح الكتاب والرحالة الغربيون يتفننون في وصف الواقع الثقافي بالسيئ والمظلم فوليام شالر [105] (Shaler) القنصل الأمريكي ينفي وجود العلم والتعليم في الجزائر ويدعي أن السكان يحتقرون العلوم ويكتفون بتعلم القرآن106.

واكتفى أغلب العلماء ورجال الدين بالانخراط فقط في دائرة الصراع على المجال الحيوي الخارجي ضد الإسبان والأوروبيين عامة، دون التفاتة للواقع الثقافي والاجتماعي والفكري الذي كان بحاجة إلى تنوير وتطوير، فالمسألة بالنسبة إليهم تتعلق بحماية المسلمين وأرض الإسلام من الغزو الأجنبي الكافر الذي ينص الدين على القيام به، فعمل الفقهاء والعلماء ومن دار في حوزتهم، ما بوسعهم للتنبيه من خطر الإسبان على سواحل شمال إفريقيا ودعوا السكان والسلطة القائمة إلى الاستعداد والحذر، ومن ذلك هذه الأبيات للشيخ الأديب مُحَمَّد التواتي:

فلا تمهلوا أمر الأعادي فإنهم بحال اجتماع واتفاق وشدة

وقد قطعوا قطعا فإن ظفروا بكم فقد ظفروا بأهل الجزيرة

ولا يحمي مرساكم ضعاف رجالكم ولا البدو بل تحميه أهل الجزيرة

وكانت هذه الوضعية السيئة نتيجة سنوات الجمود والتقهقر الفكري التي عاشها العالم الإسلامي ومنه الجزائر. فابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي غاب عن الحياة السياسية للمسلمين المشروع الثقافي الموحد الجامع، وتشتتت القيم الفكرية وتبعثرت الرؤى الفقهية وعجزت عن التأثير في حياة العامة من الناس، واكتفى كل فقيه بما قرب يديه من الناس والمريدين. وكانت النخب الدينية والفقهية تدعو للتمسك بالعلوم الموروثة والثقافة المكتسبة،

وطرح كل دعاوى التجديد والاجتهاد، ففي مصر يذكر المؤرخ المصري الجبرتي أن أحد الوعاظ أخذ يحض الناس على عدم التوجه للقبور قصد الزيارة والتوسل بها، فتأثر به الناس وشرعوا يكفون عن زيارتها، لكن شيوخ الأزهر وقفوا ضده، وتحرك الحراس يفضون تجمع الناس حوله حتى قضي عليه[107] وسيطرت الطرق الصوفية على أغلب جهات الإيالة أسلاف الأمير عبد القادر على ربوع منطقة معسكر وأحوازها، مثلما ذاع صيت آل أبَهْلَول المجاجي في أحواض شلَف وتنَس، وفي عنابة كانت المشيخة الصوفية في عائلة ساسي البوني، الذي حوله سكان المدينة في فترة قصيرة من فقيه وعالم ولغوي إلى ولي صالح لا ترد له دعوة[108].

وفي منطقة دار السلطان، نجد أن خمسة من الأضرحة كانت تستقطب إليها الآلاف من الناس من مناطق غير خاضعة للسلطة، وهي ضريح "أحمد بن يوسف" في مليانة و ضريح "سي مُحَمَّد بن مبارك"[109] بمدينة القليعة و ضريح "ابراهيم الغبريني" بشرشال وقبري "سيدي عبد الرحمن "بوقبرين" أحدهما في مدينة الجزائر والآخر في "أيت إسماعيل" بجرجرة.

وكان بمدينة قسنطينة وحدها نحو عشرين شخصية مرابطية يتمسك بها السكان كمصادر للقوة الغيبية والقدرة على الاستجابة وتحقيق المراد، منهم سيدي بومدين الذي يذكر عنه الفكون انه كان مجنونا يجوب الطرقات ثم صار وليا[110]، ويعتقد سكان مدينة الجزائر أن الولي "دده وليّ[111]"، هو من أنبأ كما تقول الذاكرة الشعبية عن العاصفة التي أغرقت أسطول "شارل كينط" سنة 1541[112]..

وقد نسج المرابطون علاقات قوية مع السكان بفضل دورهم في الحياة الثقافية والاجتماعية ودورهم في تكريس السلم بين القبائل يقول حمدان خوجة ":"أما السلم فإنه يتم دائما بتدخل المرابط"[113]

وكان الاعتقاد السائد عند الأهالي في شفاء المرابطين وأنهم يملكون السر الإلهي الذي منحه لقليل من عباده ولذلك تجدهم يثقون فيهم ثقة عمياء، وكان كل مرابط شبه متخصص في نوع من الأمراض فهناك المتخصص في أمراض الحمى والعقم والصداع والشقيقة والأوجاع التي تصيب الأطفال، وتقتضي من المستشفي زيارة قبر الضريح الولي في فترات معينة والقيام

بطقوس محددة كتناول فاكهة تنبت قرب ضريحه أو التبخر بالأعشاب القريبة منه ليزول بعدها ما جاء يشكو بسببه وغيرها من العلل[114].

لقد كان الإيمان بالخرافة الطرقية شاملا فقد كان خير الدين بربروس نفسه يؤمن بالفكر الزواوي والصوفي، حيث كان يستريح بعد كل مواجهة في إحدى الزوايا الصوفية يستقدم منها البركة والجهد لمواصلة الكفاح ضد الإسبان، خاصة زوايا جربة وزوايا بجاية، هاته الأخيرة كان بها الشيخ سيدي مُحَمَّد التواتي المتوفي عام 1505عن عمر يناهز 120 سنة، قبل سقوط المدينة بيد الإسبان وهو الذي ذكره بيري رايس بأنه قدم ملاذا ومكان آمنا لغزاة البحر[115].

وكان حكام الإيالة كلما اشتد بهم البأس وضاقت عليهم الدوائر يلجؤون إلى المرابطين أحياء كانوا أو أمواتا، طالبين منهم العون والنصرة على أعدائهم، وكان هذا موقف الداي حسين سنة 1830 حينما أمر وزراءه وقواده بضرورة زيارة قبور الأولياء والصالحين والذبح عندها[116]، وأمرهم بتفريق الأموال على الفقراء وبعث بالهدايا للأئمة، وطلب منهم الدعاء له لينحر جيش الحملة الفرنسية الرابض أمام مدينة الجزائر، والذي حول ليلها ونهارها إلى جحيم من القذائف والدخان، فقام الأئمة ينتشرون في الشوارع ملبين رغبة الداي يدعون الناس للتوسل للأولياء الصالحين الذين يحرسون مدينة الجزائر، منهم سيدي عبد القادر، وسيدي عبد الرحمن، وسيدي ولد دادة[117]، وكان توسلهم من أجل أن يرفع الله غضبه ومقته عن الناس وتنجلي غيوم الحملة التي كانت تحاصر المدينة.

ويبرر "فيليبو بانانتي" عدم دخول المطبعة إلى الجزائر في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر من أجل نشر العلوم والمعارف وتطوير المجتمعات برغبة هؤلاء الباشاوات الرافضين للتجديد خوفا من انتشار العلم والمعرفة، فتكون مكانتهم وسلطانهم في خطر[118].

لقد وجد الأتراك الذين كانوا يحبون التصوف ويميلون إلى تقديس أهله والإيمان بصدق ولايتهم، ضالتهم في المغرب الأوسط حيث بلغ التصوف عند الناس في هذه الفترة درجة "زبدة الدين وخلاصته"، وصار كثير من السلاطين يحبون التصوف ويكرمون أهله[119].

3.3 الأسرى الأوروبيون في الجزائر.

شكل موضوع معاملة الأسرى مادة مثيرة للكتابة فيها من طرف المؤرخين والباحثين من أجل الدراسة والبحث فيه والإدلاء بآرائهم، وتأرجحت مواقفهم بين طرفي نقيض، فقد نوه كثير منهم بوجود صور تكاد تكون مثالية في معاملة الأسرى المسيحيين بإيالة الجزائر، كهبنشترايت حيث يجدها أكثر إنسانية وأحسن بكثير من حالة الأسرى المسلمين الذين يعملون على قوارب التجذيف في السفن المسيحية والذين شاهدهم بنفسه وهم يكابدون تحت الثقل المضني لأغلالهم.

وقد أثارت مسألة حرية التدين في الجزائر سواء بالنسبة للأهالي أو الأسرى الأوروبيين اهتمام مؤرخي الفترة العثمانية من المؤرخين الغربيين والفرنسيين خاصة، وراح بعضهم يطلق أحكاما قاسية حول التدين وممارسة الشعائر الدينية، حيث ذكر بعضهم ممن زاروا البلاد أن مستوى حرية التدين كبير والإحساس بهذا الواجب كان شعورا لا يفارق الناس منذ نعومة أظافرهم.

وكان الاعتقاد السائد آنذاك عند عامة الناس أن الأسرى يجبرون على الدخول في الإسلام بالإكراه أو بالترغيب[120]، وهو خطأ كبير ومستبعد جدا وأشار لذلك الدبلوماسي البلجيكي لوجي دوتاسي حيث يستبعد أن يعمل الأسياد على إسلام عبيدهم، بل إنهم يشمئزون من ذلك ويغضبهم تحول عبيدهم إلى الإسلام[121] لأنهم سيخسرون من جراء ذلك الكثير من المال[122].

ويضيف دو تاسي على أن حرية الاعتقاد كانت مكفولة من طرف الحكومة وأن "حكومة الجزائر وضعت مبدأ في التدين يتمثل في ترك الحرية لكل شخص، وكلما مارس الإنسان ديانته بحرية كلما لقي الاحترام والحماية[123].

على ألا تكون هذه الحرية تمس معتقدات الجزائريين، إذ يجب على المسيحيين واليهود الحرص على عدم الكلام في الشريعة الإسلامية وإلا تعرضوا للعقوبة، وقد عوقب بحار بريطاني بجلده 500 جلدة لأنه سب الشريعة الإسلامية[124].

وأما الضابط الروسي كوكوتسوف[125] فيقول: إن كل الأسرى لديهم ما يحتاجونه من لباس وطعام وخلال فترة عبوديتهم يعاملهم الجزائريون بإنسانية أكثر بكثير من معاملة الأوروبيين لأسراهم والأتراك يظهرون ثقة كبيرة بالأسرى المسيحيين لا ينالها الأهالي أنفسهم، فيكلفونهم بأعمال سهلة ويسمحون لهم بأخذ قسط من الراحة بعد إتمامها، ويمنحونهم أوقات فراغ حتى يستطيعوا العمل كذلك لصالحهم الشخصي.

لقد قامت سلطات الإيالة بمنح الأسبان رغم تاريخهم الحافل بالمواجهات الدموية مع الجزائريين، الإذن في بناء المستشفيات وتسهيل تشييد الكنائس للأسرى، خاصة منذ النصف الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي، وقاموا بإنشاء مؤسسة كاثوليكية بمدينة الجزائر تضم مستشفى أقيم به مذبح، تقام عنده الصلاة يوميا، وقد لعب هذا المستشفى دورا كبيرا في تمريض الأسرى في فترات الوباء، وصفه الأسير كاثكارت بأنه "من أكبر المؤسسات الخيرية في العالم كله، حيث يقدم رعايته لجميع المسيحيين الأسرى دون أن يأخذ في الاعتبار عقائدهم وطوائفهم الدينية وقومياتهم"[126].

ويحمّل وليم ليثغو William Lightgow الرحالة الانجليزي المغامر، أبناء بلده مسؤولية وقوعهم في الأسر لعدم يقظتهم وتوغلهم في المياه القريبة من سواحل الجزائر، لأن الملاحة في البحر الأبيض المتوسط كانت مغامرة حقيقية مجهولة العواقب، بالنسبة لكثير من الأوروبيين[127].

فبعد أن وصف الحالة التعيسة التي كان عليها عدد كبير من الأسرى وأغلبهم من الإسبان الذين يشتغلون في حقول وبساتين أسيادهم الجزائريين، تأسف من كون السفن الإنجليزية الصغيرة أو الضعيفة تغامر بنفسها في البحر الأبيض المتوسط، وتهزم أمام الأسطول الجزائري ويساق أفرادها أسرى، ثم يستنجد هؤلاء بالمواطنين الإنجليز لدفع الفدية وتخليصهم من الأسر". فالأحرى بهم أن يعاقبوا ويتركوا هناك تأديبا لهم على مجازفتهم داخل أخطار معروفة ودون حماية تليق بالسفن الكبرى وأن لا تستعمل أي وسيلة لمساعدتهم أو افتدائهم[128] كما يقول.

ولم يكن هذا الاعتراف بحرية التدين ديدن جميع الباحثين، فقد أثار القس الاسباني بيار دان حفيظة الأوروبيين وجيّشهم للثورة والانتقام من الجزائريين بكتابه تاريخ بربريا وقراصنتها[129]، بما ضمنه من صور مبالغ فيها عن المضايقات والتعذيب الذي يتعرض له الأسرى المسيحيون[130] والإكراه لترك المسيحية والدخول في الإسلام.

ونقل عن الأسير المحرر "ج ميتزرن" في يومياته أن سلطات الإيالة مكنت الأسرى المسيحيين في سجن سركاجي من ممارسة شعائرهم حيث خصص الأسرى جزء من السجن وجعلوه كنيسة كاثوليكية وفي كل صباح كانوا يؤدون صلاتهم قبل الذهاب للعمل[131].

ويصف دي فونتان الأسرى لدى باي معسكر بأنهم كانوا يعيشون حياة مريحة توزع عليهم الأرزاق والأموال لسد حاجاتهم كل حين[132].

أما فونتير دو بارادي فقد أكد من جهته أن العبيد كانوا لا يقيدون بالسلاسل في أرجلهم إلا عقوبة لجرم اقترفوه أو خشية الفرار[133].

كل هذه الصور تتنافى مع ما ذكره بيار دان في كتابه تاريخ بربارية وقراصنتها حيث عج مؤلفه بسرد قصص خيالية عن صور التعذيب والقتل العشوائي التي يتعرض لها المسيحيون في الجزائر[134].

4. تحليل النتائج:

إن أغلب الكتابات في القرن التاسع عشر قد قام بها عسكريون مرتبطون بالحركة العسكرية والاستيطانية التي رافقت احتلال الجزائر سنة 1830. وبالتالي وضع أسس الأمبراطورية الاستعمارية الفرنسية التي ستتضح معالمها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كقوة عسكرية دولية.

ساعدت هذه الكتابات في تعريف المجتمع الفرنسي المنغلق حتى ذاك الوقت بعالم فسيح هو المغرب الاوسط وفي هذا الإطار ذكر ترومللي في مقدمة كتابه " أما نحن المجهولون بالنسبة للقراء فاننا لا نجد ما نقول في مقدمة كتابنا سوى أننا نريد أن نضع بين يدي الجمهور

أحاسيسنا وانطباعاتنا وحوارتنا مع أهالي البلد الأنديجان مع قدماء ضباطنا في إفريقيا ورحلاتنا الاستكشافية الطويلة التي قمنا بها"؟؟ .

ويمكن تصنيف كتابات الغربيين إلى صنفين:

الصنف الأول: هو الصنف الذي رسم صور مشرقة للحياة الاجتماعية والسياسية مرتبطة بواقع الإيالة وإمكانياتها المتوفرة آنذاك، حيث أكد هؤلاء على القيم التالية:

- وجود قيمة الإيجابية خلف الجزائري "العربي" في التعامل مع غيره من بني جنسه.
- الانسجام والتناغم الاجتماعي بين طبقات وفئات المجتمع.
- الأتراك يمثلون امتدادا للتعاون بين المسلمين في اطار الخلافة الاسلامية.
- استكمال الفرد أدوات التربية المدنية والتي تلزم عليه الانضباط والانسجام داخل المجموعة.
- حرص الآباء والأولياء على تربية أبنائهم وتوريثهم لهذه المنظومة التربوية الفعالة.
- التمازج بين العناصر الاجتماعية المختلفة وانعدام الفروق الاجتماعية والفئوية ساهم في استقرار المجتمع.

الصنف الثاني: هو الصنف الذي رسم صور مبهمة وكالحة للوقاع السياسي والاجتماعي للإيالة، واعتبرها منطقة فوضى بربرية ومجالا مفتوحا وجب على الغربيين اقتحامه، حيث أكد هؤلاء على القيم التالية:

- الأتراك يشكلون عنصرا غريبا.
- الاسرى الاوروبيين بالسجون المحلية يعيشون في ظل ظروف قاسية، ذريعة لاستمرار محاولات احتلال وتحطيم الايالة.

- القيم الدينية المحلية قيم عدوانية لا تقبل الاخر وتثير الضغائن والأحقاد.
- التطرف الديني طبع عليه سكان المنطقة لعيشهم المعزول عن مؤثرات الثقافة الغربية بسبب وجود الأتراك.
- الجهل والتخلف والانكباب على العلوم الدينية مما أدى إلى عدم قبول الاخر.

5.خاتمة البحث:

من خلال ما سبق يمكننا القول بأن الكتابات التي تركها الغربيون، سواء الرحالة و الأسرى أو الدبلوماسيون شكلت المادة الخام لمؤرخي الفترة العثمانية الذين جاؤوا بعد الاحتلال الفرنسي في غياب كتابات تاريخية محلية بديلة، وبالرغم من أن كتاباتهم اتسمت بالانطباعية والفجائية ولم تكن متأنية ودقيقة إلا أن مؤرخي الغرب أخذوها بحذافيرها ولم يمارسوا فيها النقد التاريخي البحثي والأكاديمي الذي أقاموه في كتابات أخرى.

تمثل الكتابات الغربية على ما فيها من قراءات مجانبة للحقيقة التاريخية إلا أن تمثل موردا هاما للباحثين من أجل تشكيل صورة متكاملة عن التكوين الاجتماعي والديني والفكري والسياسي للجزائر في الفترة الحديثة.

استبعدت أغلب الكتابات صور التسامح والانفتاح عن المجتمع الجزائري مما هيأ للأفكار المسبقة الخاطئة، والسبب يعود لجملة الحواجز الثقافية التي كانت بين الطرفين.

اتسمت نظرة المؤرخين للسلطة ونظام الحكم التركي بنوع من الشوفينية، حيث تثير مسألة مشروعية الحكم العثماني وبررت تبعيته للباب العالي بنقل الحب والخوف إلى جنوب أوروبا.

انغلاق المجتمع وتصلب الحياة الاجتماعية والتشدد في التدين وغياب مقومات الثقافة بسبب التعليم الديني جعل المجتمع عدائيا ومارس سطوته على الأسرى الأوروبيين في الجزائر وبالغ في تعذيبهم والانتقام منهم.

5. قائمة المراجع:

المؤلفات باللغة العربية

1. عزيز سامح يلتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط01 بيروت 1989 ، ص17.
2. عبد الفتاح محمد الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، مكتبة مدبولي ، القاهرة، 1994، ص59.
3. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1996، ص ص 186-187.
4. عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الامبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر، دار الغرب الاسلامي، 2005.، ص62.
5. عبد الحميد بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1972، ص34.
6. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1979.
7. أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1981.
8. جميلة معاشي، الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، ص 41.
9. جيمس ليندر كاثكارت، مذكرات أسير الداي قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 9.
10. ابن المفتي حسين شاوش، تقييدات ابن المفتي، تقديم كعوان فارس، دار النشر بيت الحكمة، الجزائر 2008، ، ص 32.
11. معمر شدري، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر من 1871 – 1830 فترة الدايات (ر م غ م،) قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2006 . ص21.

12. د طريس، تاريخ الشرفاء، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، شركة المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، دت، ص 174.
13. عمار بوحوش، تاريخ الجزائر السياسي من البداية وإلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1997.ص60.
14. محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، دمشق، سوريا، دت، ص 32.
15. موساوي فلة قيشاعي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الإحتلال الفرنسي 1518-1871، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2005.
16. بروكلمان ك، تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة نبيلة أمين فارس ،منير البعلبكي، ط1 ، دارالملايين، بيروت، 1948 ، ص 491 .
17. مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر، ترجمة إسماعيل العربي وصدرت ب سنة ، عن منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيعالجزائر 1982.
18. مولاي بالحميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979، ص.31.
19. محمد أوجرتني الفقهاء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830 دار الأيام للنشر، عمان الأردن، 2017، ص89.
20. س بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تر أبو العيد دودو، (ش.و.ن.ت.) الجزائر 1974. ص75.
21. الزهراني ع، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وأثرها في حياة الأمة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة، 1414هـ، ص258.
22. زكريا العابد، الجزائر من خلال الرحالة الأوروبيين، ماجستير غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة 2009، ص.30.
23. ميتزرن ج، يوميات أسر في الجزائر 1814-1816، ترجمة ج هـ بوسكي، وج ق بوسكي، تعريب محمد زروال، دار هومة للنشر، الجزائر، 2011، ص 28.

المؤلفات باللغة الفرنسية

24. A Rousseau .chroniques de la régence d' Alger traduites d'un manuscrit arabe intitulé el-zohrat-el-nayerat,

Muhammad ibn Muhammad al-Tilimsânî imprimerie du gouvernement. Alger, 1841..

25. Albert Devoulx, les édifices religieux de l'ancien Alger(1826-1876). 1870
26. Amédée Jaubert **. l'Algérie en 1838**, librairie de du fart Paris .1838,p33
27. Barthélemy, A. Constantine :chant de guerre dédié à l'armée d'Afrique. 1857
28. Bichi, G. **Prise de Constantine par les français**. Iano .Paris. 1837.
29. Bonnafont, J-P. Réflexions sur l'Algérie, particulièrement sur la province de Constantine : sur l'origine de cette ville et les beys qui y ont régné depuis l'an de l'égire 1133 (1710) jusqu'en 1253 (1837) / 1846.
30. C. Trumelet. Blida récits selon légende, la tradition & l'histoire. Alger Adolphe Jourdan, libraire-éditeur. 1887..
31. Cadart, C R . **Souvenirs de Constantine: journal d'un lieutenant du génie**, rédigé en 1838-39 Paris. . 1894.
32. Charles feraud, Les interprètes de l'armée d'Afrique archives du corps, adolphe jourdan, libraire éditeur Alger, 1876. P24.
33. Devoisins, V.. **Expeditions de Constantine**, accompagnées de réflexions sur nos possessions d'Afrique, Earnest Leroux editeurs. Paris.... 1840
34. Devoulx Albert, Tachrifat, recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne, régence d'Alger, imprimerie du gouvernement, Alger, 1852, p77.
35. E Mercier, Histoire de Constantine. editions soubiron, Constantine, 1903
36. Edmond Doutté, Notes Sur L'islâm Maghrébin Marabouts extrait de la revue de 1'histoire des religions, Ernest Leroux, éditeur, Paris. 1900
37. Enfantin. A. de la colonisation l'Algérie P. Bertrand, libraire. paris. 1843..

38. Ernest Mercier, histoire de l' Afrique Septentrionale, depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française 1830, tome. Leroux éditeur. Paris.1868. p14.
39. Eugène Plantet, Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France, 1579 - 1833 t2 , (1700-1833) ,Paris, 1889
40. Eugene Vallet, 13 Octobre 1837 Le Ravin ; de Constantine ; et les origines de Cirta.
41. F D de Haido , Topographie et Histoire Générale d'Alger, Traduit de l'espagnol par, Dr. Monnereau A. Berbrugger. 1870. p196
42. Féraud, L-C. **Histoire des villes de la province de Constantine** : et documents pour servir à l'histoire des anciennes concessions françaises d'Afrique.1877.
43. G Dumas, Mœurs Et Coutumes de L'Algérie Tell — Kabylie — Sahara, librairie de La Hachette Et Cie, Paris, 1853, p36..
44. Houari T, entre dieu et les hommes lettres saints et sorciers au Maghreb 17eme siècle éditions de l'école des hautes études en science sociales Paris. 1994. p 115
45. Inconnu, Description de l'État et de la ville d'Alger, imprimerie de poveg, / gallica, bnf, fr, p18
46. L.R. Desfontaines, Fragments d'un Voyage dans les régences de Tunis et d'Alger, T2.Librairie de guide, Paris, 1838, pp. 185.
47. Laugier de Tassy, histoire du royaume d'Alger, loysel, Paris, 1992. préface
48. M. Kadache, l'Algérie durant la période ottomane, OPU. Alger, p12
49. M. Perrot, la conquête d'Alger ou relation de la campagne d'Afrique motifs détails évènements qui ont précédé le débarquement, . d'après les documents officiels et particuliers Paris .1830.
50. Marcel Daumas ,la grande kabylie études historiques. Paris. 1867.

51. Octave Dupont Xavier Coppolani, .les confréries religieuses musulmanes publié sous le patronage de m. jules Cambon gouverneur général de l'Algérie, Adolphe Jourdan imprimeur-libraire-éditeur, Paris .1897.
52. P .Boyer, "Contribution à l'Etude de la Politique Religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger (XVIème - XIXème siècles)" In: R.O.M.M, N°1, 1966. pp. 11-49.
53. P.Dan Histoire de Barbarie. Et de ses Corsaires des royaumes, & des villes d'Alger, de Tunis, de Salé, & de Tripoli. Pierre Rocolet, Imprimeur & Libraire seconde édition PARIS 1646
54. Pananti Filippo, relation d'un séjour à Alger, le normand, Paris, 1820.p365.
55. S Rang et F Denis. fondation de la régence Alger, histoire des Barberousse chronique arabe du XVIe siècle sur un manuscrit de la bibliothèque royale, avec un appendice et des notes expédition de Charles-Quint. aperçu historique et statistique du port d'alger, paris1837.
56. Salvaire, F. Les deux expéditions de Constantine : poème en 4 chants, dédié à S. A. R. Mgr le duc de Nemours. 1838
57. Shaw, Thomas Voyage dans la régence d'Alger, ou Description géographique, physique, philologique, de cet état , Traduit de l'anglais... par Mac Carthy, Marlin Éditeur Paris 1830
58. V. De Paradis , Tunis et Alger au XVIII siècle , la Bibliothèque Arabe Sindibad , France , 1980 , p158.

المقالات باللغة العربية

59. عبد الجليل التميمي، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519" **في المجلة التاريخية المغربية**، العدد 05 ، تونس 1976 ص 99 .
60. دليو فضيل، جرائم الذاكرة أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر المنطلقات والممارسات، في مجلة المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية

61. فضيلة حفاف، السياسة الفرنسية الأهلية في بدايات الاحتلال 1830-1833 في مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، كجلد03، عدد05، الجزائر، 2015.

المقالات بالفرنسية:

62. P .Boyer, "Contribution à l'Etude de la Politique Religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger (XVIème - XIXème siècles)" In: R.O.M.M, N°1, 1966. pp. 11-49.
63. Louis. Rinn, "Le Royaume d'Alger sous les derniers deys" in R.A, N°41, 1897 .122.
64. R Mantran, L'évolution des Relations Politiques entre le Gouvernement Ottoman et les Odjaks de l'ouest du XVIème au XIXème siècles , in ROMM, université d'Aix-Marseille, pp 52-65
65. A B A Ben Chouaib, "Les marabouts guérisseurs", in R.A N°51 ,1907,pp 250.255.
66. Filali K. "Sainteté maraboutique et mysticisme « Contribution à l'étude du mouvement maraboutique en Algérie sous la domination ottomane" In insaniat résumé de thèse de doctorat. 1995, Pp. 117-140.

6. الهوامش

1 – عزيز سامح يلتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط01 بيروت 1989 ، ص17.

2 - Ernest Mercier, histoire de l' Afrique Septentrionale, depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française 1830, Ernest Leroux éditeur. Paris.1868. p14..2tome

3 – عبد الفتاح مُحَّد الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، مكتبة مدبولي ، القاهرة، 1994، ص59.

4 – أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1996، ص ص 186-187.

5 – عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الامبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر، دار الغرب الاسلامي، 2005.، ص62.

6- عبد الحميد بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1972، ص34.

[7] - Ernest Mercier, histoire de l' Afrique, ibid. p50.

[8] - دليو فضيل، جرائم الذاكرة أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر المنطلقات والممارسات، في مجلة المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية

[9] - فضيلة حفاف، السياسة الفرنسية الأهلية في بدايات الاحتلال 1830-1833 في مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، كجلد03، عدد05، الجزائر، 2015.

[10] - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1979، ص18.

[11] - مسعود بقادي، المقال السابق.

12 - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1981، ص 18.

13 - سعد الله أبو القاسم، المرجع نفسه، ص 18.

14 -Barthélemy, A. Constantine :chant de guerre dédié à l'armée d'Afrique. 1857

15 -Salvaire, F. Les deux expéditions de Constantine : poème en 4 chants, dédié à S. A. R. Mgr le duc de Nemours. 1838

16 - Cadart, C R . **Souvenirs de Constantine**: **journal d'un lieutenant du génie**, rédigé en 1838-39 Paris. . 1894.

17- opcit. p12

18 -Cherbonneau, A. **Constantine et ses antiquités**, extraits des nouvelles annals des voyages. 1857.

19 - Devoisins, V.. **Expeditions de Constantine**, accompagnées de réflexions sur nos possessions d'Afrique, Earnest Leroux editeurs. Paris.... 1840

20 - Bichi, G. **Prise de Constantine par les français**. Iano .Paris. 1837.

21 -Féraud, L-C. **Histoire des villes de la province de Constantine** : et documents pour servir à l'histoire des anciennes concessions françaises d'Afrique.1877.

22 -Bonnafont, J-P. Réflexions sur l'Algérie, particulièrement sur la province de Constantine : sur l'origine de cette ville et les beys qui y ont régné depuis l'an de l'égire 1133 (1710) jusqu'en 1253 (1837) / 1846.

23 - E Mercier, Histoire de Constantine. editions soubiron, Constantine, 1903

[24] -E. Vallet, 13 Octobre 1837 Le Ravin ; de Constantine ; et les origines de Cirta.

25 - Eugene Vallet, Constantine : son passé, son centenaire (1837-1937). 1937. recueil des notices et memoires de la societe archeologique de constantine01

26 - opcit, p02.

[27] مؤرخ إسباني عاش حتى أواخر القرن Diego de HAËDO.- فراي دييغو دي هايدو الايطالية مدينة باليرمو 17 في بلاد الباسك، انجذب للسلك الديني بعد ما أصبح أحد أقاربه رئيس أساقفة شمال اسبانيا وبه التقى .Fromestaفصار دييقو هو الآخر قسيسا ثم رئيس الدير في مدينة فرومستا بالأسرى المسيحيين الذين يعملون في الدير وتم افتداؤهم من الأسر بإفريقيا، ومن خلال ملاحظاتهم ألف تاريخ ملوك الجزائر. عن الأسر في مدينة الجزائر.الجزائر و تاريخها العام هايدو كتاباته منها: طوبوغرافيا .

28- Shaw, Thomas Voyage dans la régence d'Alger, ou Description géographique, physique, philologique, de cet état , Traduit de l'anglais... par Mac Carthy, Marlin Éditeur Paris 1830

[29] -h.-d. de Grammont, histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830 paris.1887.

[30]- S Rang et F Denis. fondation de la régence Alger, histoire des Barberousse chronique arabe du XVIe siècle sur un manuscrit de la bibliothèque royale, avec un appendice et des notes expédition de Charles-Quint. aperçu historique et statistique du port d'alger, paris1837.

[31] - Eugène Plantet, Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France, 1579 - 1833 t2 , (1700-1833) ,Paris, 1889

[32] A Rousseau .chroniques de la régence d' Alger traduites d'un manuscrit arabe intitulé el-zohrat-el-nayerat, Muhammad ibn Muhammad al-Tilimsânî imprimerie du gouvernement. Alger, 1841..

33 - تحمل رسالة بن رقية التلمساني عنوان الزهرة النيرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها الكفرة.

34 Enfantin. A. de la colonisation l'Algérie P. Bertrand, libraire. paris. 1843..

35 - M. Perrot, la conquête d'Alger ou relation de la campagne d'Afrique motifs détails évènements qui ont précédé le débarquement, . d'après les documents officiels et particuliers Paris . 1830.

[36] Edmond Doutté, Notes Sur L'islâm Maghrébin Marabouts extrait de la revue de 1'histoire des religions, Ernest Leroux, éditeur, Paris. 1900

[37] Daumas. Mœurs Et Coutumes De L'Algérie Tell — Kabylie — Sahara librairie de l. hachette et Cie rue pierre-Sarrazin, n° 14 1853. Paris.

[38] -Albert Devoulx, les édifices religieux de l'ancien Alger(1826-1876). 1870

[39] Octave Dupont Xavier Coppolani, .les confréries religieuses musulmanes publié sous le patronage de m. jules Cambon gouverneur général de l'Algérie, Adolphe Jourdan imprimeur-libraire-éditeur, Paris .1897.

40 - Marcel Daumas ,la grande kabylie études historiques. Paris. 1867.

[41] C. Trumelet. Blida récits selon légende, la tradition & l'histoire. Alger Adolphe Jourdan, libraire-éditeur. 1887..

42 - Pierre Dan, Op.cit .p 397

43 - ibid. p 397

44 - ibid. . p400

[45] - الذي يسلم بشهادات بيار دان المبالغ فيها يمكنه أن يصور الجزائر في هذه الفترة بصور قاتمة يعجز القصاصون ورواة الخيال التنبؤ بها والتدقيق في تفاصيلها.

46 - Pananti Filippo, relation d'un séjour à Alger, le normand, Paris, 1820.p365.

47 - Houari T, entre dieu et les hommes lettres saints et sorciers au Maghreb 17eme siècle éditions de l'école des hautes études en science sociales Paris. 1994. p 115

48 - جميلة معاشي، الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، ص 41.

[49]- M. Kadache, l'Algérie durant la période ottomane, OPU. Alger, p12

[50]- opcit. , p13

[51]- ibid. p93

52 - كلمة بربارية Berbérie ورد سياقها في أغلب المقالات ضمنيا أو في العناوين، وقد سيقت للدلالة على دولة الجزائر أو المغرب الأوسط، ولم نجد لها ترجمة تفيد معناها سوى Berbérie = بربارية "ترجمة آلية".

53 - Laugier de Tassy, histoire du royaume d'Alger, loysel, Paris, 1992. préface

54 - يقر دوتاسي بمحدودية معرفة الغربيين بالجزائريين فكتب كتابه السابق الذكر ليشكل صورة تكون محور التعامل مع الجزائر.

55 - ibid . préface.

56 - كان هذا الأمريكي ضمن ركاب السفينة ماريا بوسطن ينما استولى الجزائريون عليها سنة 1785 وهي أول سفينة أمريكية تقع في يد القراصنة الجزائريين، انظر: جيمس ليندر كاثكارت، مذكرات أسير الداي قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 9.

57 - كاثكارت، المصدر السابق، ص.85.

58 - كان قائدا عسكريا ومترجما ضمن الحملة الفرنسية على مصر التي قادها نابليون بونابارت سنة 1798. انظر/

Charles feraud, Les interprètes de l'armée d'Afrique archives du corps, adolphe jourdan, libraire éditeur Alger, 1876. P24.

[59] - Amédée Jaubert . **l'Algérie en 1838**, librairie de du fart Paris .1838,p33

60 - **Opcit**, p33

61 - **Ibid**. , p33

62 - J. Faye, op.cit, pp.9,143,145-151,158-160.

63 - H.D. De Grammont, op.cit, p409.

64 - P .Boyer, "Contribution à l'Etude de la Politique Religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger (XVIème -XIXème siècles)" In: R.O.M.M, N°1, 1966. pp. 11-49.

65 - Filippo Pananti, opcit, 1820 p.332

66 - P. Boyer, op.cit. pp. 11-49.

67 - حتى بايات تونس ساروا على منهج هذا التقارب فقد قام الباي حسين بن صالح عندما خرج في إحدى حملاته العسكرية سنة 1807 بأخذ نذر على نفسه تعهد فيه ببناء دار الولي الصالح سيدي علي العريان والسيد مُحَمَّد بن سيدي سعيد وإصلاح مسجده وتخصيص أوقاف يستعان بها في رعاية طلبة العلم مقابل أن يسانده السكان في دعم حملاته العسكرية في باليك الشرق عبد الكريم غلاب المرجع السابق ص5.

68 - كثيرة هي الأمثلة عن بشاوات وبايات جزائريين جسدت سياستهم التعاون والتحالف مع هذه الفئة فقد أورد فيرو في دراساته أن اتفاقات تمت بين حسين باشا والمرابط سيدي عيسى بن سيدي مومن يتولى هذا الأخير من خلالها الوساطة مع الثوار والمتمردين حين اندلا ع الثورات وفتح الحوار بين الطرفين.

69 - ابن المفتي ح ش، تقييدات ابن المفتي، تقديم كعوان فارس، دار النشر بيت الحكمة، الجزائر 2008، ، ص 32.

70 - Louis. Rinn, "Le Royaume d'Alger sous les derniers deys" in R.A, N°41, 1897 .122.

71 - الديوان يمثل المؤسسة الثانية بعد الباشا حاكم البلاد، لكنه كان يملك صلاحيات واسعة وبيده الحل والربط.

72 - de Grammont. op.cit. P125.

73 - Laugier de Tassy, op.cit. p212.

74 - op.cit. p212.

75 - Inconnu, Description de l'État et de la ville d'Alger, imprimerie de poveg, / gallica, bnf, fr, p18

76 - Laugier de Tassy, op.cit 213.

77- ibid, p214,

78 – معمر شدري ، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر من 1871 – 1830 فترة الدايات، رسالة ماجيستر غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2006 . ص21.

79 - Laugier De Tassy. op.cit .p 301.

80 – د طريس، تاريخ الشرفاء، تر مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر، شركة المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، دت، ص 174.

81 - R Mantran, L'évolution des Relations Politiques entre le Gouvernement Ottoman et les Odjaks de l'ouest du XVIème au XIXème siècles , in ROMM, université d'Aix-Marseille, pp 52-65

82 -Devoulx Albert, Tachrifat, recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne, régence d'Alger, imprimerie du gouvernement, Alger, 1852, p77.

83- كثير من الباشاوات والبايات انقلبوا على الشرعية بالمفهوم السياسي المعاصر، لكن دوامهم في كرسي الحكم لم يدم طويلا، فكان الديوان والانكشارية لهم بالمرصاد، مثلما حدث لمحمد بكداش 1707-1710 وصالح باي 1771-1792 قسنطينة وغيرهما.

84 – ع بوحوش، تاريخ الجزائر السياسي من البداية وإلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1997.ص60.

85 – م حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، دمشق، سوريا، دت، ص 32.

86 – كان للأندلسيين تأثيرا كبيرا في المسار الثقافي والاجتماعي للمغرب الأوسط منذ نهاية القرن الخامس عشر وحتى القرن الثامن عشر، خاصة في الحواضر التي استقروا بها كمستغانم تلمسان شرشال البليدة قسنطينة و عنابة، وقد تناول هذا التأثير العديد من الباحثين والمؤرخين.

87- أ. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج02، المرجع السابق ،241-242.

88 – لمزيد من الاطلاع على الأوضاع الاجتماعية والصحية أثناء العهد العثماني انظر : موساوي ف ق، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الإحتلال الفرنسي 1518-1871، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2005.

89 -F D de Haido , Topographie et Histoire Générale d'Alger, Traduit de l'espagnol par, Dr. Monnereau A. Berbrugger. 1870. p196

90 – كانت عادة المبارزة بالسيف سواء للتسلية أو التدريب أو الخصومة عادة يومية عند السكان في أوروبا آنذاك، وقد أثار انعدام وجودها في الجزائر انتباه الكاتب لما ينجم عنها من خصومات وعداوات بين الناس في حال الإصابة لأحد الطرفين.

91 - Haido, op.cit., p197.

92 - ibid., p 198.

93 - G Dumas, Mœurs Et Coutumes de L'Algérie Tell — Kabylie — Sahara, librairie de La Hachette Et Cie, Paris, 1853, p36..

94 - Dumas, Op.cit . p36.

95 – إلقاء التحية بين الناس من أبرز مقومات الدين الإسلامي وصى بها النبي مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام :" ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟؟ حديث شريف.

96- ibid p36..

97- يبدو جليا تأثر دوماس بهذا الموقف مقارنة بالغربيين الذين ينزعون القبعة لتحية الكبراء.

98- وهذا مرده لتعاليم الشرع الحنيف فقد ورد في السنن قول النبي ﷺ :" تجنبوا السبع الموبقات وذكر من بينها قذف المحصنات المؤمنات الغافلات" حديث شريف.

99- Dumas, op.cit., p37.

100 – الورتلاني، المصدر السابق، ص 111.

101 – بن حمادوش، المصدر السابق، ص236.

102 – القواميس الفرنسية المستعملة لا تقدم تعريفا صحيحا للمصطلحات المذكورة أعلاه ولا موحدا في مضامينه فتأتي عبارة بربر للدلالة على شعوب افريقيا الشمالية في بعضها وفي البعض الآخر تدل على شعوب شمال افريقيا الساكنة في الجبال انظر .....

103 – كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة نبيلة أمين فارس ،منير البعلبكي، ط1 ، دار الملايين، بيروت، 1948 ، ص 491 .

104 – هو الراشدي فقيه مالكي ،أصله من الرواشد بفرجيوة تولى القضاء و الفتوى بقسنطينة له كتاب في عائلات قسنطينة و قبائلها و عربها و بربرها، توفي حوالي عام 1112 هـ 1700 /م

105 – وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر، كتب مذكراته عن فترة إقامته بالجزائر من 1816 إلى 1824، ترجمها بلانشي (M.X.Blanchi) إلى الفرنسية ونشرها في باريس سنة 1830، ترجمها إلى العربية إسماعيل العربي وصدرت بالجزائر سنة 1982، عن منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. وقد دعا وليام شالر الأمم الأوروبية إلى العمل الجاد للقضاء على الحكم التركي في الجزائر من خلال مذكراته، وقدم الاقتراحات الميدانية لتنفيذ ذلك للمزيد انظر : مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر، المرجع السابق ط.2، ص ص.185 -192.

106 – مولاي بالحميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص.31.

107 – مُحَّد أوجرتني الفقهاء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830 دار الأيام للنشر، عمان الأردن، 2017، ص89.

108 – م. البوعبدلي، الجزائر في التاريخ- مقال سابق ص 4 -121.

109 – أحمد بن مبارك تقول الرواية أنه ينتمي إلى قبيلة هاشم من منطقة غريس انتقل إلى الوسط وأقام بمدينة القليعة في سنة 1601

110 – الفكون، المصدر السابق، ص 177.

111 – كان هذا الولي ذا سمعة كبيرة بلغت حتى خارج حدود الايالة ففي رسالة مخطوطة بالمكتبة الوطنية نقرأ فيها رغبة أحد الجزائريين المقيمين بأزمير يدعى الشيخ مُحَّد درويش بزيارة ضريح الولي دادة وتقديم النذور إليه الرسالة تحت رقم 68 مخطوطات المكتبة الوطنية المجموعة رقم 3190.

112 – يعتبر الأهالي أن انكسار حملة شارل كينت عند سواحل المدينة سنة 1541 كان لثورة الأولياء وغضبهم على الكفار فكانت نكسة المسيحيين مصدر الفرح والتهليل عندهم، بالرغم من أن الظروف الجوية الصعبة التي وقعت في عرض البحر وتزامنت مع وجود الحملة المسيحية كانت كافية لإفشالها، صحيح أن الإرادة الإلاهية تنتهي عندها عزائم الناس ومصائر الحروب والمعارك والانتصارات لكن الاعتماد عليها دون إعداد وتقديم الأسباب يعد ضربا من ضروب الجهل الذي حاربه الشرع الإسلامي انظر: عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر، ج02، دار الغرب الإسلامي، 1996، ص124.

113 – ح. خوجة، المصدر السابق، ص56..

114 – A B A Ben Chouaib, "Les marabouts guérisseurs", in R.A N°51 ,1907,pp 250.255.

115 – Filali K. "Sainteté maraboutique et mysticisme « Contribution à l'étude du mouvement maraboutique en Algérie sous la domination ottomane" In insaniat résumé de thèse de doctorat. 1995, Pp. 117-140

116– س بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تر أبو العيد دودو، (ش.و.ن.ت.) الجزائر 1974. ص75.

117– س بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تر أبو العيد دودو، (ش.و.ن.ت.) الجزائر 1974. ص75.

118 – P. Pananti, op.cit. p230.

119 – الزهراني ع، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وأثرها في حياة الأمة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة، 1414هـ، ص258.

120 – إن إكراه الأسرى على اعتناق ديانة معينة كالإسلام ليس مما يقبله العقل السليم، وكانت هذه الحقيقة متجسدة في مخيلة الجزائريين برغم حالة الضعف الفكري، لإدراكهم أن الدخول في الإسلام ينبغي أن يكون طواعية ودون إكراه، لورود الكثير من النصوص الدينية من القرآن والسنة في هذا المضمار.

لقد كانت حرية التدين مكفولة للأجانب بحكم كونهم من أهل كتاب أو ذميين، لهم حقوق على المسلمين بنص الدين الإسلامي، غير أنه يجب على المسيحيين واليهود الحرص على السلوك الحسن والسيرة الطبيعية، وعدم المساس بالشرع الإسلامي الحنيف.

121 – L de Tassy, opcit., p86

122 – ibid , p87

123 – ibid. p106.

124 – ibid , p107

125) كان يشتغل ضابطا في M Grigorievitch. Kokovtsov – كوكو فتسوف (البحرية الروسية شارك في محاربة الأسطول العثماني في البحر المتوسط، زار عنابة سنة 1777 وصدرت

انطباعات هذه الرحلة في سان بترسبورغ عام 1787 بعنوان: أخبار موثوقة عن الجزائر، انظر: زكريا العابد، الجزائر من خلال الرحالة الأوروبيين، ماجيستير غير منشورة، جامعة الامير عبد القادر قسنطينة 2009، ص.30.

[126] – جيمس ليندر كاثكارت ، المصدر السابق، ص.103.

127- P. Grand Champ , « le prétendu voyage de William Lightgow dans les états de Barbarie (1615-1616) », R. A, n°412-413, Alger, 1947, pp. Op.cit ,p.224.

كان ليثغو من الرحالة القلائل الذين عارضوا جمع الأموال لافتداء الأسرى للأسباب المذكورة أعلاه، ونقد سفراء بلاده في القسطنطينية بشدة لأنهم لا يفعلون شيئا إزاء هجمات السفن الجزائرية ضد السفن الانجليزية وبالتالي فهم ليسوا أهلا لتولي مناصبهم.

128- P Grand Champ, Op.cit ,p.224.

كان ليثغو من الرحالة القلائل الذين عارضوا جمع الأموال لافتداء الأسرى للأسباب المذكورة أعلاه، ونقد سفراء بلاده في القسطنطينية بشدة لأنهم لا يفعلون شيئا إزاء هجمات السفن الجزائرية ضد السفن الانجليزية وبالتالي فهم ليسوا أهلا لتولي مناصبهم.

[129] – صور كثيرة ذكرها بيار دان تقشعر لها الأبدان للاطلاع عليها يرجع لكتابه تاريخ بربريا وقراصنتها. والذي يعج بكثير من الصور المبالغ فيها والأحكام القاسية عن الدين والإسلام منه قوله في الصفحة 37 :"الشيطان عدو الإنسان يبحث دائما لغوايته وخسرانه ويشجع مُحَمَّد وأتباعه لتهديم كنيسة الله، والمسلمون دوما في لهفة لموت النصارى، سواء رجال أو نساء أو مرابطين أو غيرهم من الفئات الاجتماعية" انظر

.P.Dan Histoire de Barbarie. Et de ses Corsaires des royaumes, & des villes d'Alger, de Tunis, de Salé, & de Tripoli. Pierre Rocolet, Imprimeur & Libraire seconde édition PARIS 1646

[130] – لقد كان الأسرى الأوروبيون يقعون في الأسر في ظل ظروف عديدة فمنهم المحاربون الذين يؤسرون بعد معارك طاحنة ومنهم التجار ومنهم الرحالة، وكان أسر الأوروبيين والمسلمين لبعضهم البعض ظاهرة عامة ونشاطا يوميا وواقعا معاشا، انتهت إليه العلاقات الإقليمية بين ضفتي البحر المتوسط.

[131] – ميتزرن ج، يوميات أسر في الجزائر 1814-1816، ترجمة ج هـ بوسكي، وج ق بوسكي، تعريب محمد زروال، دار هومة للنشر، الجزائر، 2011، ص 28.

[132] – L.R. Desfontaines, Fragments d'un Voyage dans les régences de Tunis et d'Alger, T2.Librairie de guide, Paris, 1838, pp. 185.

133 –V. De Paradis , Tunis et Alger au XVIII siècle , la Bibliothèque Arabe Sindibad , France , 1980 , p158.

134 – Le Père Dan, Histoire de la Barbarie et de ses corsaires, Pierre Rocolet, Paris, 1637.